المصـــادر المثناه فى اللفظ ويراد بها التكثير

إعداد الدكتور
جمال عبد الحفيظ هاشم
أستاذ اللغويات المساعد
فى كلية اللغة العربية بأسيوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين- وبعد:

فهذا بحث متواضع فى "المصادر المثناة فى اللفظ والتى يراد بها التكثير". والذى حفزنى للكتابة فى هذا الموضوع؛ كثرة استعمال هذه المصادر، وعلى الأخص "لبيك وسعديك"، وتداولهما على اللسنة فى التلبية بالحج والعمرة، وغير ذلك. فأردت أن يقف الباحث على حقيقة هذه المصادر من حيث المعنى والإعراب.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أقسمه إلى النقاط التالية:-

الأولى: معانى هذه المصادر.

الثانية: هذه المصادر مثناة فى اللفظ، ويراد بها التكثير.

الثالثة: الخلاف فى إعراب هذه المصادر.

الرابعة: إضافة هذه المصادر إلى الاسم الظاهر، وضمير الغيبة.

الخامسة: الخلاف فى الكاف التى تتصل بها هذه المصادر.

السادسة: الخاتمة: وهى خلاصة موجزة لأهم النقاط التى تضمنها هذا البحث، والنتائج التى توصلت إليها من دراسة هذا الموضوع.

أدعو الله سبحانه وتعالى أن ينفع به كل طالب علم، وأن يجعله خالصاً لوجهه، إنه نعم المولى، ونعم النصير، وبالإجابة جدير.

د/ جمال عبد الحفيظ هاشم

تمهيد فى معنى المصدر ودلالته :

المصدر: هو اسم دال على الحدث، جار على فعله مثل: "ضربت زيدا ضربا"، والمراد بالحدث: المعنى القائم بالغير، ومعنى جريانه على الفعل: ألا تنقص حروفه عن حروف فعله لفظا أو تقديرا دون تعويض، فإن نقصت حروفه عن حروف فعله لفظا وتقديرا فهو اسم مصدر، وليس مصدرا .. وإنما سمى مصدراً؛ لأن الفعل صدر عنه، وأخذ منه، ولهذا قيل للمكان الذى تصدر عنه الإبل بعد الرى مصدراً كما قيل مورد لمكان الورود.

"ويسميه سيبويه الحدث والحدثان.."، وذلك لأنها أحداث الأسماء التى تحدثها، والمراد بالأسماء أصحاب الأسماء وهم الفاعلون، وربما سماه الفعل من حيث كان حركة الفاعل[1] ...

والمصدر من قبيل اسم الجنس المبهم كالماء والعسل والتراب، واسم الجنس المبهم يدل على القليل والكثير من ذلك الجنس، بسبب كونه موضوعاً لحقيقة هذا الجنس، والحقيقة تدل على الكثير والقليل، فالماء مثلاً يدل على القطرة الواحدة من هذا الجنس، ويدل على أكثر قدر يمكن أن نتصوره من هذا الجنس، والتثنية معناها: ضم شئ إلى مثله، والجمع معناه: ضم شيئين أو أكثر إلى مثلهما، فإذا كان لفظ الماء يدل على ما لا زيادة عليه لمستزيد من هذا الجنس، فإنك لو ثنيته لم يكن فى الوجود فرد آخر تضمه إلى فرد حتى يصبح عندك اثنان..

وإذا علمت هذا فاعلم أن المصدر على نوعين: أحدهما: مبهم يدل على الحقيقة، وهذا هو المصدر المؤكد لعامله، نحو: " ضربت ضربا" وهذا النوع لا يثنى، ولا يجمع لسببين: الأول: أن لفظه يدل على الحقيقة، والحقيقة تدل على القليل والكثير، فلا يمكن أن يوجد فرد لم يشمله لفظ "ضرب" حتى تضمه إليه، فيصير عندك فردان تدل بعلامة التثنية عليهما، كالذى قلناه فى لفظ الماء، والثانى: أن لفظ المصدر فى هذه الحالة بمنزلة تكرير الفعل، ولذلك قلنا: إنه مؤكد له، ولما كان الفعل لا يثنى ولا يجمع كان ما هو بمنزلته كذلك، وهذا مما لا خلاف فيه..

---

[1] شرح المفصل لابن يعيش ١/١١٠، ٦/٤٣.

والثانى من نوعى المصدر المختص، وهو ضربان: مبين للعـــدد، ومبـــين للنوع، وإنما كان مختصا فى هذين الضربين، لأنه دل على شئ زائد عما يدل عليه الفعل، فأما المبين للعدد فلا خلاف فى أنه تجوز تثنيته وجمعـــه. مثـــل " ضـــربت ضربتين أو ضربات .." وأما المبين للنوع: فذهب سيبويه إلى أنه لا يثنى ولا يجمع واختاره الشلوبين، وذهب ابن مالك إلى أنه يثنى ويجمع. واستدل على ذلك بـــوروده فى فصيح الكلام نحو قوله تعالى: "وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا.." [1] وهـــذا الـــرأى هـــو الأحرى بالقبول؛ لأن معنى كونه دالاً على النوع، أن لفظه دال على فـــرد وأن لـــه مثلاً وأمثالاً تضم إليه، فليس ثمة ما يمنع من تثنيته أو جمعه..

أما المصادر التى نحن بصددها، وهى المصادر المثناة فى اللفظ لما قصدوا بها التكثير، حيث جعلوا التثنية علماً على ذلك؛ لأنها أول تضعيف العـــدد وتكثيـــره فسأبين معنى التثنية فيها، وأرى وجه الضرورة فى التثنية وأعلم كيف تكتسى هـــذه الألفاظ معنى التعظيم والإجلال والمبالغة، وكيف يكون وقوعها على الله تعالى فمن دونه؟ وغير ذلك من الأحكام.

---

[1] من الآية ١٠ فى سورة الأحزاب.

١- معاني هذه المصادر

معانى لبيك وأخواتها:

لقد أفاضت كتب المعاجم فى معنى "لبيك وأخواتها" إفاضة تامة بالنقل أو الاجتهاد ومن هذه المعانى: لزوماً لطاعتك، والإقامة على الطاعة بعد الإقامة، وإجابة لك بعد إجابة، وأنا مقيم عندك إقامة بعد إقامة، واتجاهى إليك، وقصدى لك، وإقبالى على أمرك، وأنا مواجهك بما تحب إجابة لك، أو معناها محبتى لك. وإقبالى إليك، وإخلاصى لك، وسلمت يداك، وكما قال الزمخشرى: " معنى لبيك: أى أطيعك وأتصرف بإرادتك، وأكون كالشئ الذى تصرفه بيديك كيف شئت"[1] إلى غير ذلك من المعانى التى تؤديها هذه الألفاظ.

يقول سيبويه: " هذا باب ذكر معنى لبيك وسعديك وما اشتقا منه، وإنما ذكر ليبين وجه نصبه، كما ذكر معنى سبحان الله - حدثنا أبو الخطاب أنه يقال للرجل المداوم على الشئ لا يفارقه ولا يقلع عنه: قد ألب فلان على كذا وكذا، ويقال: قد أسعد فلان فلاناً على أمره وساعده. فالإلباب والمساعدة دنو ومتابعة: إذا ألب على الشئ فهو لا يفارقه، وإذا أسعده فقد تابعه، فكأنه إذا قال الرجل للرجل: يا فلان، فقال: لبيك وسعديك، فقد قال له: قرباً منك، ومتابعة لك. فهذا تمثيل، وإن كان لا يستعمل فى الكلام.

كما كان: براءة الله تمثيلاً لسبحان الله، ولم يستعمل. وكذلك إذا قال: لبيك وسعديك، يعنى بذلك: الله عزوجل، فكأنه قال: أى رب لا أنأى عنك فى شئ تأمرنى به. فإذا فعل ذلك فقد تقرب إلى الله بهواه.

وأما قوله: وسعديك فكأنه يقول: أنا متابع أمرك، وأولياءك، غير مخالف. فإذا فعل ذلك فقد تابع، وطاوع، وأطاع.."[2].

وقال ثعلب: " ويقال: لبيك وسعديك، ودواليك، وحنانيك، وهذاذيك، رحذاريك، فحنانيك: رحمة بعد رحمة، ودواليك: دولة بعد دولة، وحجازيك:

---

[1] الفائق فى غريب الحديث ٣/٢٩٤، ٢٩٥ " لبب".

[2] الكتاب ١/٣٥٢، ٣٥٣.

محاجزة محاجزة، وسعديك مساعدة مساعدة، وحذاريك: حذراً حذرا، وهذاذيك: قطعاً قطعاً. وأنشد:

ضربا هذاذيك وطعنا وخضا[١][٢] "

وقال سيبويه أيضا: " وإنما حملنا على تفسير لبيك وسعديك لنوضح به وجه نصبهما؛ لأنهما ليسا بمنزلة سقياً وحمداً وما أشبه هذا.

ألا ترى أنك تقول للسائل عن تفسير سقيا وحمداً: إنما هو سقاك الله سقياً، وأحمد الله حمداً، وتقول حمداً بدل من أحمد الله، وسقياً بدل من سقاك الله. ولا تقدر أن تقول:ألبك لبا وأسعدك سعداً، ولا تقول: سعداً بدل من أسعد، ولا لباً بدل من ألب. فلما لم يكن ذاك فيه التمس له شئ من غير لفظه معناه كبراءة الله، حين ذكرناها لنبين معنى سبحان الله. فالتمست ذلك للبيك وسعديك واللفظ الذى اشتقا منه، إذ لم يكونا فيه بمنزلة الحمد والسقى فى فعلهما، ولا يتصرفان تصرفهما، فمعناهما القرب والمتابعة، فمثلت بهما النصب فى لبيك وسعديك، كما مثلت ببراءة النصب فى سبحان الله[٣].

وقال ابن يعيش:" وأما "لبيك وسعديك" فهما مثنيان، ولا يفرد منهما شئ ولا يستعملان إلا مضافين لما ذكرته لك من إرادة معنى التكثير، فلما تضمن لفظ التثنية ما ليس له فى الأصل من معنى التكثير لزم طريقة واحدة؛ لينبئ عن ذلك المعنى. فلبيك مأخوذ من قولهم: ألب بالمكان إذا أقام به ، وألب على كذا، إذا أقام عليه، ولم

---

[١] هذا البيت من البحر : الرجز. وقائله: العجاج. والبيت فى اللسان "هذذ – وخض" بدون نسبة، من أرجوزة يمدح بها الحجاج، وذكر فيها ابن الأشعث وأصحابه.

اللغة: هذاذيك: قطعاً بعد قطع. والوخض: الطعن الجائف، والمقصود من البيت: يعنى ضرب الأعناق، وطعن الأجواف.

الشاهد فيه: هذاذيك: حيث نصبت على المصدر الموضوع موضع الحال، وثنى لأن الهذ من اثنين. والكاف للخطاب، لا يتعرف ما قبلها بها، فلذا يصح وقوعه حالاً، كما سيأتى بيانه. مواضعه: ديوانه ٣٥. الكتاب ١/٣٥٠، وابن يعيش ١/١١٩، الهمع ١/١٨٩.

[٢] مجالس ثعلب ١/١٢٩، ١٣٠. وكذلك أمالى الزجاج ص ١٣٢.

[٣] "الكتاب ١/٣٥٣، ٣٥٤.

يفارقه، وسعديك مأخوذ من: المساعدة والمتابعة، وإذا قال الإنسان "لبيك" فكأنه قال: دواماً على طاعتك، وإقامة عليها مرة بعد مرة

وكذلك "سعديك": أى مساعدة بعد مساعدة، ومتابعة بعد متابعة، فهذا اسمان مثنيان، وهما منصوبان على المصدر بفعل مضمر تقديره من غير لفظه، بل من معناه، كأنك قلت فى "لبيك" داومت وأقمت، وفى سعديك: تابعت وطاوعت، وليسا من قبيل: سقيا لك ورعياً، تقديره: سقاك الله ورعاك الله، إذ لا يحسن أن يقال: ألب لبيك، وأسعد سعديك. إذ ليس لهذه المصادر أفعال مستعملة تنصبها إذ كانت غير متصرفة، ولا هى مصادر معروفة كسقياً ورعياً.."[١].

ورود هذه المصادر فى القرآن الكريم، والأحاديث النبوية:

لم يرد لفظ "لبيك وسعديك" أو إحدى أخواتها من المصادر المثناة فى اللفظ ويراد بها التكثير فى القرآن الكريم. وإنما وردت بعض الآيات القرآنية المثناة فى اللفظ، والمقصود منها الجمع أو التكرار، للمبالغة والتأكيد، مثل قوله تعالى "ثُمَّ ارْجِعِ الْبصر كَرَّتَيْنِ"[٢]، وقوله تعالى: "بَلْ يداهُ مبْسُوطَتَانِ.."[٣]، وقوله تعالى: "فَأَصْلِحُوا بيْن أَخَوَيْكُمْ.."[٤] وسيأتى الكلام فيها مفصلاً فى موضعه.

وقد وردت أحاديث كثيرة منها: حديث الإهلال بالحج والعمرة: " لبيك اللهم لبيك .."[٥].

---

[١] شرح المفصل ١١٨/١، ١١٩.

[٢] من الآية ٤ فى سورة الملك.

[٣] من الآية ٦٤ فى سورة المائدة.

[٤] من الآية ١٠ فى سورة الحجرات.

[٥] فى الدارقطنى "حدثنا القاضى الحسين بن إسماعيل بن إسحاق بن محمد بن الفضل الزيات. قال: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا أبو أسامة وعبد الله بن نمير عن نافع، عن ابن عمر قال: تلقفت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يقول: " لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك" قال صاحب التعليق: الحديث اسناده صحيح، وأخرجه الأئمة الستة فى كتبهم، وقد رواه الإمام أحمد فى مسنده. الدارقطنى ٢٢٥/٢، مسند الإمام أحمد ٢٤٠/٢.

وقال ابن الأثير فى النهاية: "لبب" الإهلال بالحج "لبيك اللهم لبيك" هو من التلبية، وهى إجابة المنادى: أى إجابتى لك يارب، وهو مأخوذ من لب بالمكان وألب به: إذا أقام به، وألب على كذا، إذا لم يفارقه، ولم يستعمل إلا على لفظ التثنية فى معنى التكرير: أى إجابة بعد إجابة.

وهو منصوب على المصدر بعامل لا يظهر، كأنك قلت: ألب إلبابا بعد إلباب. والتلبية من لبيك كالتهليل من لا إله إلا الله.

وقيل: معناه اتجاهى وقصدى يارب إليك، من قولهم: دارى تلب دارك: أى تواجهها.

وقيل معناه إخلاصى لك، من قولهم: حسب لباب، إذا كان خالصاً محضاً، ومنه لب الطعام ولبابه[١].

زاد الهروى من معانيها، قال: "والثالث: محبتى لك يارب. من قول العرب: امرأة لبة، إذا كانت محبة لولدها عاطفة عليه. ومنه قول الشاعر:

وكنتم كأم لبة ظعن ابنها[٢]

وفى حديث علقمة أنه قال للأسود: "يا أبا عمرو، قال: لبيك، قال: لبى يديك" قال الخطابى: (معناه): سلمت يداك وصحتا. وإنما ترك الإعراب فى قوله: يديك، وكان حقه أن يقول: "يداك" لتزدوج يديك بلبيك[٣] .."

وقال الزمخشرى: "معنى لبى يديك: أى: أطيعك، وأتصرف بإرادتك، وأكون كالشئ الذى تصرفه كيف شئت[٤]..".

وغير ذلك مما ورد فى الصحاح من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) النهاية فى غريب الحديث ٢٢٢/٤ "لبب".

(٢) ورد البيت فى النهاية بالهامش نقلا عن الهروى ٢٢٢/٤ " لبب" وتاج العروس ٤٦٥/١ "لبب".

(٣) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢٢٢/٤ "لبب".

(٤) الفائق فى غريب الحديث ٢٩٤/٣، ٢٩٥ "لبب".

أصـــل لبيـــك:

وقال ابن الأعرابى: اللب الطاعة، وأصله من الإقامة. وقولهم: لبيك اللـب واحـد، فإذا ثنيت، قلت فى الرفع: لبان، وفى النصب والخفض: لبين، وكان فـى الأصـل "لبينك"، أى أطعتك مرتين، ثم حذفت النون للإضافة، أى أطعتك طاعة، مقيماً عندك إقامة بعد إقامة[١]..."

وقيل: إن أصل "لبيك": ألب البابين لك، ثم حذفت زوائد المصدر، وحـذف حـر الجر من المفعول "الكاف"، وأضيف المصدر إليه..

قال الصبان ونقله عنه الخضرى باختصار قليل ما نصـه الحرفـى عـن المصدر "لبيك" أصله: ألب لك البابين، أى: أقيم لطاعتك إلباباً كثيـراً؛ لأن التثنيـة للتكرير -نحو قوله تعالى " ثُمَّ ارْجِعِ الْبصرَ كَرَّتَيْنِ.[٢]".

أى: كرات فحذف الفعل "ألب" وأقيم المصدر مقامه، وحذفت زوائده، وحذف الجـار من المفعول "الكاف" وأضيف المصدر إليه، كل ذلك ليسرع المجيب إلـى التفـرغ لاستماع الأمر والنهى. ويجوز أن يكون من "لب" بمعنى "ألب" فلا يكون محـذوف الزوائد.

قال الرضى[٣]. ومثله فى حذف الزوائد الباقى[٤]..

وإذا كان من الصحيح اعتباره -مباشرة- مصدراً للفعل "لب" أى: لب لبـاً، بمعنى: "ألب إلباباً" كما يدل عليه الكلام، وكما صرحت به كتب اللغة، فما الـداعى للعدول عن هذا الرأى الصحيح الذى لا يستدعى حذفاً ولا بعداً؟ .. لا داعى ..

إبدال الياء من الباء فى "لبيك":

إبدال الياء من الباء فى "لبيك" من الإبدال السماعى؛ لأن القياس أن تبدل من

---

[١] اللسان ٥/٣٩٨٠ " لبب ".

[٢] من الآية ٤ فى سورة الملك.

[٣] حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٢/٢٥١ : ٢٥٣، حاشية الخضرى على ابـن عقيـل ٢/٨٠٩.

[٤] شرح الكافية للرضى ١/١٢٦.

أختيها "الواو والألف" ومن الهمزة" فإبدالها من غير الحروف السابقة كالحروف الصحيحة يكون سماعياً.

قال الزبيدى فى التاج: "ومنه" قولهم "لبيك" ولبيه. "أى": لزوماً لطاعتك، أصله "لببت" من ألب بالمكان، أبدلت الباء لأجل التضعيف.

وقال الأحمر: "كان أصله لبب بك، فاستثقلوا ثلاث باءات، فقلبوا إحداهن ياء كما قالوا: تظنيت من الظن ..

قال: وأما قول يونس، فزعم أن لبيك اسم مفرد وأصله عنده، لبب، وزنه "فعلل". قال: "ولا يجوز أن تحمله على "فعل" لقلة "فعل" فى الكلام، وكثرة "فعلل". فقلبت الباء التى هى اللام الثانية من "لبب" ياء هرباً من التضعيف، فصار لبى، ثم أبدل الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار "لبى"، ثم إنه لما وصلت بالكاف فى "لبيك" وبالهاء فى "لبيه" فقلبت الألف ياء كما قلبت فى "إلى" و"على" و"لدى" إذا وصلتها بالضمير: فقلت: إليك، وعليك، ولديك[1] .."

فقد بين الزبيدى أن أصل "لبيت" "فعلت" من ألب بالمكان فأبدلت الباء ياء لأجل التضعيف، وكان أصله "لبب بك" فاستثقلوا ثلاث باءات فقلبوا إحداهن ياء، كما قالوا: تظنيت من الظن، ومن الذين قالوا بهذا البدل الأحمر ويونس..

أما عند سيبويه وغيره من العلماء: فالياء فى "لبيك" وأخواته هى ياء التثنية. يقول سيبويه: " ومثل ذلك: حذاريك، كأنه قال: ليكن منك حذر بعد حذر، كما أنه أراد بقوله: لبيك وسعديك: إجابة بعد إجابة، كأنه قال: كلما أجبتك فى أمر فأنا فى الأمر الآخر مجيب، وكأن هذه التثنية اشد توكيداً[2]..".

وعد البدل الذى حدث فى لام المضعف فى نحو: تظنيت، وتسريت ولبيت شاذاً وضرورياً حيث يقول: " هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف،

---

[1] تاج العروس ٤٦٥/١، الكتاب ٣٥١/١، اللسان ٣٩٨٠/٥ "لبب".

[2] الكتاب: ٣٤٩/١ ، ٣٥٠.

وليس بمطرد: وذلك قولك: تسريت، وتظنيت، وتقصيت من القصة، وأمليت.. وكل هذا التضعيف فيه عربى كثير جيد[1]" وسيأتى الكلام فى تثنية هذه المصادر.

وقال سيبويه: هذا البيت "فيه رد على يونس فىزعمه أنه" أى: لبى "مفرد، وأصله: لبا[2]- بألف بعد الموحدة- على وزن "فعلى" بسكون العين (فقلبت ألفه ياء لأجل الضمير) كما قلبت فى "لدى"، و"على"؛ لاتصال الضمير بهما، إذ يقال فيهما "لديك وعليك" ووجه الرد من البيت: أن الياء قد وجدت مع الظاهر، ولو كانت ألفه كألف "لدى" و"على" لم تنقلب مع الظاهر، إذ يقال: "لدى الباب" و"على زيد" ببقاء الألف على حالها.

وقول ابن الناظم فى شرح النظم: "إن خلاف يونس" جار فى "لبيك" وأخواته، وهم -بفتح الهاء- أى: غلط، وإنما هو خاص بـ "لبيك[3][4]". و"وهم" خبر لقوله: "وقول ابن الناظم"

اختصار "لبب" من لبيك على الحكاية:

قال سيبويه: "وأما قولهم: سبح ولبى وأفف، فإنما أراد أن يخبرك أنه قد لفظ بسبحان الله، وبلبيك، وبأف، فصار هذا بمنزلة قوله: قد دعدع، وقد بأبأ، إذا سمعته يلفظ بدع وبقوله: بأبى. ويدلك على ذلك قولهم: هلل إذا قال: لا إله إلا الله.

---

(1) الكتاب ٤/٤٢٤، كذلك: الإبدال لابن السكيت ص ١٣٣.

(2) فى الكتاب لسيبويه ١/٣٥١ "وزعم يونس أن "لبيك، اسم واحد جاء على هذا اللفظ فى الإضافة، كقولك عليك ... ونست تحتاج فى هذا الباب إلى أن تفرد، لأنك إذا أظهرت الاسم بين أنه ليس بمنزلة عليك، وإليك، لأنك لا تقول: لبى زيد، وسعدى زيد.

قال الشاعر:

فلبى فلبى يدى مسور

فلو كان بمنزلة "على" لقال: فلبى يدى مسور؛ لأنك تقول: "على زيد، إذا أظهرت الاسم .." اهـ.

(3) شرح الألفية لابن الناظم ص ٣٩٠.

(4) شرح التصريح ٣/١٤٧: ١٥٠.

وإنما ذكرت هلل وما أشبهها لتقول قد لفظ بهذا. ولو كان هذا بمنزلة كلمته من الكلام، لكان سبحان الله ولب وسعد مصادر مستعملة متصرفة فى الجر والرفع والنصب والألف واللام، ولكن سبحت ولبيت، بمنزلة هللت ودعدعت، إذا قال: دع. ولا إله إلا الله[١] فمن المعانى التى يزاد لها تضعيف العين من "فعل" اختصار الحكاية وذلك مثل: كبر: قال الله أكبر، وهلل: قال لا إله إلا الله، ولبى: قال لبيك، سبح: قال سبحان الله، أمن: قال آمين.

قال أبو على: فأما قولهم" تأوه" فيحتمل عندى -قولين: أحدهما- وقد قيل: أنه يكون مأخوذاً من جملة الكلام، كقولهم "هلل" و"لبى"، فأخذ من حروف قولنا "لا إله إلا الله" حروف صيغ منها هذا الفعل، وكذلك أخذ "لبى" من "لبيك" مع ما فيه من حروف التثنية فكما أخذ من الكلمة وما فيها من حروف التثنية، كذلك أخذ من هذه الكلمة مع ما فيها من تاء التأنيث... وكذلك "لبى" لا يكون "لبب" ثم أبدل على حد تقضيت[٢].. وفى ذلك رد على الخليل الذى ذهب الأخير إلى القول بذلك[٣].

وقال ابن جنى: الألف فى لبى عند بعضهم: هى ياء التثنية فى لبيك لأنهم اشتقوا من الاسم المبنى الذى هو الصوت مع حرف التثنية فعلا. فجمعوه من حروفه، كما قالوا من لا إله إلا الله: هللت، ونحو ذلك، فاشتقوا لبيت من لفظ لبيك فجاءوا فى لفظ لبيت بالياء التى للتثنية فى لبيك. وهذا قول سيبويه[٤][٥].

سعديك:

وأما سعديك فمأخوذمن الإسعاد، فالإلباب والإسعاد دنو

ومتابعة وكلاهما راجعان إلى اللزوم، فإذا قال الإنسان فى دعاء الله جل وعز: لبيك وسعديك" فمعناه متابعة لأمرك وإسعاداً لأوليائك. ولذلك قال سيبويه: أى رب لا

---

[١] الكتاب ١/٣٥٤.

[٢] المسائل الحلبيات ٣٤٤، ٣٤٥.

[٣] اللسان "لبب"، "لبى".

[٤] المحتسب لابن جنى ٢/٢٧٨، ٢٧٩، الكتاب ١/٣٥١.

[٥] لسان العرب ٥/٣٩٨٠ "لبب".

أنأى عنك فيما تأمرنى به، فإذا فعل ذلك فقد تقرب إلى الله تعالى بهواه. وإذا قال سعديك: فكأنه قال أى رب أنا متابع أمرك وأولياءك غير مخالف لهم، فإذا فعل ذلك فقد تابع وطاوع وأطاع وإنما فسر سيبويه معنى لبيك وسعديك وهى لغة فى باب من أبواب النحو لينكشف لك وجه نصبها ووجه إعرابها إذ كان لا يظهر إلا بظهور معناه، ولولا ذلك لم يصلح تفسير الغريب فى أبواب النحو[١].

حنانيك: -بفتح المهملة والنون-

معناها رحمة بعد رحمة. وفى حديث زيد بن عمرو بن نفيل: حنانيك يارب، أى ارحمنى رحمة بعد رحمة، وهو من المصادر المثناه التى لا يظهر فعلها، كلبيك وسعديك؛ وقالوا: حنانك وحنانيك، أى تحننا على بعد تحنن، فمعنى حنانيك تحنن على مرة بعد أخرى وحناناً بعد حنان، قال ابن سيده: يقول كلما كنت فى رحمة منك وخير فلا ينقطعن، وليكن موصولاً بآخر من رحمتك[٢]، هذا معنى التثنية عند سيبويه فى هذا الضرب، قال طرفه:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ∴ حنانيك بعض الشر أهون من بعض[٣]

قال سيبويه: ولا يستعمل مثنى إلا فى حد الإضافة وحكى الأزهرى عن الليث: حنانيك يا فلان، افعل كذا، ولا تفعل كذا، يذكره الرحمة والبر؛ وأنشد بيت طرفة[٤].

وقال السيوطى: "ومعناه تحنين بعد تحنين.."[٥]

---

[١] المخصص ٢٣٤/١٣، والكتاب ٣٥٣/١، الهمع ١٨٩/١، واللسان ٢٠١٢/٣ "سعد"

[٢] المخصص ٢٣٢/١٣.

[٣] البيت من الطويل فى ديوانه ٤٨، الكتاب ٣٤٨/١، وابن يعيش ١١٨/١، والهمع ١٩٠/١، اللسان ١٠٣٠/٢، "حنن"، التصريح بمضمون التوضيح ١٤٢/٣. وأبو منذر: كنية عمرو بن هند، يخاطبه حين أمر بقتله، وذكر قتله لمن قتل من قومه، تحريضاً على المطالبة بثأنره.
والشاهد فيه نصب "حنانيك" على المصدر النائب عن الفعل. وقد ثنى "حنانيك" لإرادة التكثير، لأن التثنية أول مراتب التكثير.

[٤] اللسان ١٠٣٠/٢ "حنن"، المخصص لابن سيده ٢٣٢/١٣.

[٥] المزهر ١٩٥/٢. ففعله حنن بالتضعيف.

قال سيبويه: "هذا باب ما يجئ من المصادر مثنى منتصباً على إضمار الفعل المتروك اظهاره: وذلك قولك: حنانيك، كأنه قال: تحننا بعد تحنن، كأنه يسترحمه ليرحمه، ولكنهم حذفوا الفعل لأنه صار بدلاً منه.

ولا يكون هذا مثنى إلا فى حال إضافة، كما لم يكن سبحان الله ومعاذ الله إلا مضافاً. فحنانيك لا يتصرف، كما لم يتصرف سبحان الله وما أشبه ذلك. قال الشاعر، وهو طرفة بن العبد:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ∴ حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وزعم الخليل رحمه الله أن معنى التثنية أنه أراد تحنناً بعد تحنن، كأنه قال: كلما كنت فى رحمة وخير منك فلا ينقطعن وليكن موصولاً بآخر من رحمتك..[١]". فالشاهد حجة لنصب حنانيك لأنه يريد تحننا بعد تحنن. وقال:

حنانى ربنا وله عنونا ∴ نعاتبه لئن نفع انعتاب

كأنه قال: تحننا بعد تحنن لأنه مصدر وثناه لأنه يريد مرة بعد مرة[٢].

"من ذلك المصادر المثناة وهى: لبيك وسعديك، وحنانيك، ودواليك، وهذاذيك، وحجازيك، وحذاريك..

ولا يتصرف وتلزم الإضافة، فان أفرد منها شئ تصرف نحو: فقالت حنان ما أتى بك هاهنا[٣]

وقوله تعالى: ((وحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا..))[٤]. وزعم ابن الطراوة أن الرفع فى "حنان" أقيس من النصب[٥]..".

وحنانيك أيها الحزين بمعنى: أتحنن تحننا عليك بعد تحنن" ومثل:

حنانيك مسئولاً ولبيك داعياً ∴ وحسبى موهوبا، رحسبك واهباً

---

[١] الكتاب ١/٣٤٨، ٣٤٩، وانظر: شرح المفصل لابن يعيش ١/١١٨.

[٢] شرح أبيات سيبويه لأبى جعفر النحاس ص ١٠٢، وهو من بحر الوافر.

[٣] صدر بيت وعجزه: أذو نسب أم أنت بالحى عارف.

وقائله: المنذر بن درهم الكلبى، وقد ورد فى الخزانة ١/٢٧٧، وابن يعيش ١/١١٨، والكتاب ١/٣٢٠، والكامل للمبرد ١/٤٨٣، ٤٨٤، والتصريح ١/١٧٧، والهمع ١/١٨٩، والأشمونى ١/٢٢١، ارتشاف الضرب ٢/٢٠٨.

(٤) من الآية ١٣ فى سورة مريم.

[٥] ارتشاف الضرب ٢/٢٠٨، ٢٠٩.

وهى فى البيت كلمة: استعطاف للمخاطب، بمعنى: تحنن حناناً بعد حنان. وكقولهم: حنانيك، بعض الشر أهون من بعض..

وقال ابن سيده: "باب ما جاء مثنى من المصادر" وذلك قولك: لبيك، وسعديك، وحنانيك، ودواليك، وهذاذيك، وحجازيك، وخياليك ... وقال طرفة:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ∴ حنانيك بعض الشر أهون من بعض

كأنه قال تحنناً بعد تحنن، ووضع حنانيك موضع تحنن، وتقول: سبحان الله وحنانيه، كأنك قلت ورحمته على المبالغة فى طلب الرحمة منه بعد الرحمة على ما تقتضيه التثنية وتقوله بالنصب والرفع[١] .."

دواليك: -بفتح الدال المهملة-

أيضا من المصادر التى لفظها لفظ التثنية ويراد بها الجمع "دواليك" ومعناها: دولة بعد دولة. قال الشاعر:

إذا شق برد شق بالبرد مثله ∴ دواليك حتى ليس للبرد لابس [٢]

فقوله "دواليك" نصبت على المصدر الموضوع موضع الحال وثنى لأن المداولة "أى المناوبة" من اثنين والكاف للخطاب لا يتعرف ما قبلها بها فلذا يصح وقوعه حالا.

وفى شرح التصريح: "ودواليك" - بفتح الدال المهملة- بمعنى- تداولاً بعد تداول، وهذا أنسب من قول ابم الناظم، إدالة بعد إدالة، لأن الإدالة الغلبة، يقال: " اللهم أدلنى على فلان، وانصرنى عليه[٣]..

ومثل:

---

[١] المخصص ٢٣٢/١٣.

[٢] البيت من البحر الطويل. قائله: سحيم عبد بنى الحسحاس. اللغة: البرد: الثوب. وروى: حتى كلنا غير لابس".

المعنى: كان العرب يزعمون أن المتحابين إذا شق كل واحد منهما ثوب صاحبه دامت مودتهما ولم تفسد. والشاهد فيه: "دواليك" نصبت على المصدر الموضوع موضع الحال..

مواضعه: ديوانه ١٦، الكتاب ٣٥٠/١، وشواهد الأعلم ١٧٥/١: وشرح ابن يعيش ١١٩/١، أمالى الزجاجى ١٣٢، الهمع ١١٩/١، الخزانة ١٧٤/١.

[٣] شرح الألفية لابن الناظم ٣٨٩، التصريح بمضمون التوضيح ١٤٢/٣.

نأكل الأرض ثم تأكلنا الأر .:. ض دواليك، أفرعا وأصولا.

بمعنى تداولاً بعد تداول، أى توالياً بعد توال.

وقال "دواليك" لأن المداولة على معنى المداومة موضع مبالغة وتعظيم كأنه قال: "مداولتك"، وجعل "دواليك" موضعه[١] .."

مجئ "دواليك" اسماً:

قال فى اللسان: " وقال ابن بزرج: ربما أدخلوا الألف واللام على "دواليك" فجعل كالاسم مع الكاف؛ وأنشد فى ذلك:

وصاحب صاحبته ذى مأفكه[٢]

يمشى الدواليك ويعدو البنكه

قال: الدواليك: أن يتحفز فى مشيته إذا حاك، والبنكه: يعنى ثقله إذا عدا[٣]..".

ومعنى جعل الاسم مع الكاف، أى جعل الاسم والكاف المتصلةبه بمنزلة اسم واحد، فدخلت عليه "أل".

هذاذيك- بذالين معجمتين-: بمعنى إسراعاً لك بعد إسراع. وهو مأخوذ من هذيذ إذا أسرع فى القراءة والضرب، وغير ذلك.

قال سيبويه: " هذا باب ما يجئ من المصادر مثنى منتصباً على إضمار الفعل المتروك إظهاره ... ومثله إلا أن يكون حالاً وقع عليه الفعل:

ضرباً هذاذيك وطعناً وخضاً[٤]

---

[١] المخصص لابن سيده ١٣/٢٣٢.

[٢] الشاهد ورد فى اللسان ٢/١٤٥٦ "دول"، وهو من مجزوء الرجز. والشاهد فيه "الدواليك" حيث أدخل الألف واللام على المصدر "دواليك" فاستعمله اسما مع الكاف.

[٣] اللسان ٢/١٤٥٦ "دول".

[٤] الرجز للعجاج فى ديوانه ٣٥، الكتاب ١/٣٥٠، شرح المفصل لابن يعيش ١/١١٩، وأملى الزجاجى ١٣٢، الخزانة ١/١٧٤، والعينى ٣/١١٩، والهمع ١/١٨٩، وهو فى اللسان "هذذ – وخض" بدون نسبة، من أرجوزة يمدح بها الحجاج وذكر فيها ابن الأشعث وأصحابه.

هذاذيك: قطعاً بعد قطع. والوخض: الطعن الحائف، يعنى ضرب الأعناق، وطعن الأجواف.

والشاهد فيه نحو ما قبله فى "هذاذيك" أى تهذ هذاذيك. مصدر قصد به التكرار.

أى: هذ بعد هذ، لا هذين اثنين ليس غير، ونظائره كثيرة، والهذ: السرعة فى القطع وغيره، وضرباً هذاذيك: ضرباً يهذ هذا بعد هذ على التكثير، وهو صفة للضرب بدون إضمار القول، أو بدل منه، ويجوز أن يكون حالاً من نكرة..

وقال ابن يعيش: "وقالوا "هذاذيك" والكلام عليه على ما تقدم وهو مأخوذ من هذيهذ إذا أسرع فى القراءة والضرب قال العجاج:

ضرباً هذاذيك وطعناً وخضاً

كأنه يقول هذا بعد هذ من كل جهة، و"ضرباً" منصوب على المصدر أى يضرب ضرباً، وهذاذيك نصب على المصدر وهو بدل من الأول وثنى للتكثير كأنه يقطع الأعناق بضربه، ويبلغ الأجواف بطعنه، والوخض الطعن الجائف[1].."

وقال آخر:

لدن غدوة من بطن فلج وبارق ∴ هذاذيك يوما ذا عجاج مطرداً[2]

يريد هذاً بعد هذ. أى قطعاً بعد قطع نصبه على المصدر الموضوع موضع الحال. ومعنى تثنية "هذاذيك" أنه فعل من اثنين كأنه يقول هذاً بعد هذ من كل وجه، وإن شاء حمله على أن الفعل وقع هذاً بعد هذ فنصبه على الحال..

وقال ابن منظور: "وضربا هذاذيك، أى هذاً بعد هذ، يعنى قطعاً بعد قطع؛ قال الشاعر:

ضرباً هذاذيك وطعناً وخضاً

قال سيبويه: وإن شاء حمله على أن الفعل وقع فى هذه الحال.

وقول الشاعر:

فباكر مختوماً عليه سباعه ∴ هذاذيك حتى أنفد الدن أجمعا[3]

---

[1] شرح المفصل ١١٩/١، والمزهر ١٩٥/٢، الارتشاف ٢٠٩/٢.

[2] البيت من البحر الطويل. قائله: لم يعرف.

اللغة: هذاذيك: هذاً بعد هذ أى قطعاً بعد قطع.

والشاهد فيه: نصب هذاذيك على المصدر بفعل مقدر والتقدير: أهذك هذاً بعد هذ.. وهو من شواهد شرح أبيات سيبويه لأبى جعفر النحاس ص ١٠٤.

[3] الشاهد وهو من البحر الطويل، ورد فى اللسان ٤٦٤٣/٦ "هذذ" وهو واضح.

فسره أبوحنيفة الدينورى فقال: هذاذيك هذاً بعد هذ، أى شرباً بعد شرب. يقول: باكر الدن ملوءا وراح وقد فرغه. وتقول للناس إذا أردت أن يكفوا عن الشئ: هذاذيك، على تقدير الاثنين، قال عبد بنى الحسحاس:

إذا شق برد شق بالبرد مثله ∴ هذاذيك حتى ليس للبرد لابس[١]

تزعم النساء إنه إذا شق عند البضاع شيئاً من ثوب صاحبه دام الود بينهما وإلا تهاجرا...

الأزهرى: يقال حجازيك وهذاذيك؛ قال: وهى حروف خلقتها التثنية لا تغير ... قال: وهذاذيك: يأمره أن يقطع أمر القوم. وهذه بالسيف هذاً: قطعه كهذأه[٢]..."

هجاجيك:

قال الأصمعى: "تقول للناس إذا أردت أن يكفوا عن الشئ: "هجاجيك"، و"هذاذيك" على تقدير الاثنين، وهم "حجاجيه" أى: عن يمينه وشماله[٣].."

وقال ابن منظور: "وهجاجيك ها هنا، وهاهنا، أى: كف.

اللحيانى: يقال: للأسد والدئب وغيرهما، فى التسكين: هجاجيك، وهذاذيك، على تقدير الإثنين؛ الأصمعى: تقول للناس إذا أردت أن يكفوا عن الشئ: هجاجيك، وهذاذيك. شمر: الناس هجاجيك، ودواليك، أى: حواليك، قال أبو الهيثم: قول شمر الناس هجاجيك فى معنى "دواليك" باطل، وقوله معنى "دواليك"، أى: "حواليك" كذلك باطل، بل "دواليك" فى معنى التداول، وحواليك، تثنية: حولك. تقول: الناس حولك، وحوليك، وحواليك، قال: فأما: ركبوا فى أمرهم هجاجهم، أى رأيهم الذى لم يرووا فيه. وهجاجيهم تثنية.

قال الأزهرى: أرى أن أبا الهيثم نظر فى خط بعض من كتب عن شمر ما لم يضبطه، والذى يشبه أن شمراً، قال: هجاجيك مثل "دواليك"، و"حواليك"، أراد أنه مثله فى التثنية لا فى المعنى[٤]..."

---

[١] قد مضى تخريج هذا الشاهد فى أكثر من موضع ص٩١.

[٢] لسان العرب ٤٦٤٣/٦ "هذذ".

[٣] جنى الجنتين ص١١، المزهر للسيوطى ١٩٦/٢، اللسان ٤٦٤٣/٦، "هذذ".

[٤] اللسان ٤٦١٥/٦ " هجج"، تاج العرس ١١٣/٢ وما بعدها "هجج".

حذاريك:

قال فى اللسان: "وقالوا: حذاريك. جعلوه بدلا من اللفظ بالفعل. ومعنى التثنية أنه يريد: ليكن منك حذر بعد حذر[١]" أى احذر أبداً.

قال سيبويه: "هذا باب ما يجئ من المصادر مثنى منتصباً على إضمار الفعل المتروك إظهاره ... ومثل ذلك: حذاريك، كأنه قال: ليكن منك حذر بعد حذر، كما أنه أراد بقوله: لبيك وسعديك: إجابة بعد إجابة، كأنه قال: كلما أحببتك فى أمر فأنا فى الأمر الآخر مجيب، وكأن هذه التثنية أشد توكيداً[٢]...".

قال ابن الأثير فى النهاية: "ومن المصادر المثناة حذاريك -بفتح الحاء- ولا مفرد له[٣]، وهو مضاف إلى الفاعل، والحذار: بالكسر والحذر والحذر، مصادر حذر[٤].

وقد أنكر ابن سيده المبالغة فى "حذاريك" فقال: "باب ما جاء مثنى من المصادر: وذلك قولك: لبيك، وسعديك، وحنانيك، ودواليك، وهذانيك، وحجازيك، وخياليك..... ولا يجوز "حذاريك؛ لأن التحذير ليس مما يحتاج فيه إلى المبالغة[٥] ...".

حجازيك:

"وحجازيك كحنانيك، أى احجز بينهم حجزاً بعد حجز. كأنه يقول: لا تقطع ذلك وليك بعضه موصولاً ببعض[٦]..."

قال السيوطى: " ذكر المثنى الذى لا يعرف له واحد ... وقال ابن دريد فى الجمهرة: باب ما تكلموا به مثنى: حواليك ودواليك ... وخباليك: من الخبال. زاد غيره: وحجازيك من المحاجزة[٧]..." أى تحجز حجازيك.

---

[١] اللسان ٨١٠/٢ "حذر".

[٢] الكتاب ٣٤٩/١، ٣٥٠.

[٣] النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٢٢/٤ "لبب".

[٤] توضيح المقاصد والمسالك للمرادى ٢٥٩/٢، الارتشاف ٢٠٩/٢.

[٥] المخصص ٢٣٢/١٣.

[٦] لسان العرب ٧٨٦/٢ "حجز".

[٧] المزهر ١٩٤/٢: ١٩٦ بتصرف. الارتشاف ٢٠٩/٢، المخصص ٢٣٤/١٣.

وقال ابن منظور أيضاً: " الأزهري: يقال حجازيك، وهذاذيك؛ قال: وهي حروف خلقتها التثنية لا تغير، وحجازيك: أمره ان يحجز بينهم.

قال: ويحتمل أن يكون معناه: كف نفسك[١].."

حواليك:

قال الأزهري: "يقال: رأيت الناس حواله، وحواليه، وحوله، وحوليه، فحواله: وحدان حواليه، وأما حوليه فهي تثنية حوله، قال الراجز:

ماء رواء ونصي حوليه ∴ هذا مقام لك حتى تيبيه

ومثل قولهم حواليك: دواليك، حجازيك، وحنانيك[٢]

قال سيبويه: "هذا باب ما يجئ من المصادر مثنى منتصباً على إضمار الفعل المتروك إظهاره: وزعم الخليل أنها تثنية بمنزلة حواليك، لأنا سمعناهم يقولون: حنان ... وحواليك، بمنزلة حنانيك ... وقد قالوا: حوالك فأفردوا، كما قالوا: حنان. قال الراجز:

أهدموا بيتك لا أبالكا ∴ وحسبوا أنك لا أخالكا[٣]

وأنا أمشي الدألى حوالكا[٤]

قال سيبويه: "ولست تحتاج في هذا الباب إلى أن تفرد، لأنك إذا أظهرت الاسم تبين أنه ليس بمنزلة عليك وإليك؛ لأنك لا تقول: لبى زيد، وسعدى زيد[٥]. وقد قالوا: حوالك فأفردوا كما قالوا: حنان. قال الراجز:

أهدموا بيتك لا أبالكا ∴ وحسبوا أنك لا أخالكا

وأنا أمشي الدألى حوالكا[٦]

---

[١] اللسان ٤٦٤٣/٦ "هذذ"، ١٤٥٦/٢ "حول".

[٢] لسان العرب ١٠٥٥/٢ "حول".

[٣] البيت للرميان السعدي. مواضعه: مجموع أشعار العرب ١٠٠/٢، النوادر لأبي زيد ص ٩٨، الدرر اللوامع ١٧٠/١.

[٤] الكتاب ٣٥١/١.

[٥] لبى وسعدى هذا بالقصر فيهما، لا بإسكان الياء.

[٦] في الكتاب ٣٥١/١، وأمالي الزجاجي ١٣٠، والكامل ٣٤٧، والبيع ١٤٥/١، واللسان "حول، دال"، والحيوان ١٢٨/٦. الدألى: مشية فيها تثاقل، يقال: مر يدأل بحمله. وهو من تكاذيب الأعراب، يزعمون أنه من قول الضب لولده، أيام كانت الأشياء تتكلم.. والشاهد فيه "حوالكا" حيث جاء مفرداً، والمستعمل فيه التثنية.

وقال:

دعوت لما نابنى مسـورا .. فلبى فلبى يدى مسور[١]

فلو كان بمنزلة على لقال: فلبى يدى مسور، لأنك تقول: على زيد إذا أظهرت الاسم[٢]..".

"وعد فى البسيط فى هذه المصادر المثناة "حواليك" قال بمعنى الإقامة، والقرب كأنه أراد الإحاطة من كل جهة، لأنه يقال: أحوالك، ويحتمل أن يريد إطافة بك بعد إطافة، وليس له فعل من لفظه، ويجوز نصبه على الظرف، وعلى الحال.انتهى[٣] ..

خباليك:

قال السيوطى: "ذكر المثنى الذى لا يعرف له واحد: ... وخباليك من الخبال[٤]..

خياليك:

قال ابن سيده: "ابن دريد: حجازيك، من المحاجزة. وخياليك من الخيال[٥]..".

دهدرين ودهدريه:

قال فى اللسان: "الدهدر: الباطل، ومنه قولهم: دهدرين ودهدريه للرجل الكذوب. أبوزيد: العرب تقول: دهدران لا يغنيان عنك شيئاً.

---

[١] الكتاب ٣٥٢/١، الخزانة ٢٦٨/١، وشواهد المغنى ص ٣٠٧ وهو من الخمسين، وقال السيوطى: هو الأعرابى من بنى أسد. يقول دعوت مسوراً لرفع نائبة عنى فأجابنى وكفانى مئونتها. وكأنه سأله فى دية.

والشاهد فيه: "فلبى" بإثبات الياء للتثنية فهو رد على يونس فى زعمه أن لبيك بمنزلة عليك، ولو كانت بمنزلتها لأثبت الألف كما تقول" على زيد" فى الإظهار.

[٢] الكتاب ٣٥١/١، ٣٥٢.

[٣] الارتشاف ٢١٠/٢.

[٤] المزهر ١٩٦/٢.

[٥] المخصص ٢٢٤/١٣.

ودهدرين:اسم لبطل؛ قال ذلك أبو على. ومن كلامهم: "دهدرين سعد القين" أى بطل سعد القين بألا يستعمل. وذلك لتشاغل الناس بما هم فيه من الشدة أو القحط. ويقال: ساعد القين. ويقال: دهدران لا يغنى عنك شيئا...

وفى المثل "دهدرين وسعدالقين" يضرب للكذاب[١].." وأصله: على ما ذكره الزمخشرى: أن "القين" مضروب المثل فى الكذب، ثم أن قيناً ادعى أن اسمه سعد، فدعى به زماناً ثم تبين كذب دعواه، فقيل له ذلك. أى: جمعت باطلين يا سعد القين. ومعنى تثنية الباطل –أن القين مشهور بالكذب فى الرأى، وقد انضم إليه انتحال الاسم، والدهدر: الباطل، فدهدرين: منصوب بفعل مضمر. و"سعد" منادى مفرد معرفة والقين" صفته، وهو منصوب أو مرفوع، وقال: هذا أصح ما يؤدى إليه النظر والاجتهاد فى تفسير هذا المثل.

يضرب لمن جاء بباطلين. والقين: معناه الحداد[٢].."

* * * * * * * * *

---

[١] لسان العرب ١٤٣٧/٢ "دهدر، دهدن".

[٢] ينظر: المستقصى ٨٣/٢، ومجمع الأمثال ٢٦٦/١، ٤٦٨، ٤٦٩.

٢ـ هذه المصادر مثناة فى اللفظ ويراد بها التكثير

لبيك وأخواتها مثناة فى اللفظ:

أصله لببت "فعلت" من ألب بالمكان ... قال الخليل: هو من قولهم: دار فلان تلب دارى، أى تحاذيها، أى أنا مواجهك بما تحب إجابة لك، والياء للتثنية[١].

قال سيبويه: "كما أنه أراد بقوله "لبيك وسعديك: إجابة بعد إجابة، كأنه قال: كلما أجبتك فى أمر فأنا فى الأمر الآخر مجيب، وكأن هذه التثنية أشد توكيداً[٢]..".

وقال ابن الأعرابى: اللب الطاعة، وأصله من الإقامة. وقولهم: لبيك، اللب واحد، فإذا ثنيت. قلت فى الرفع: لبان، وفى النصب والخفض: لبين؛ وكان فى الأصل لبينك، أى أطعتك مرتين، ثن حذفت النون للإضافة، أى أطعتك طاعة، مقيماً عندك إقامة بعد إقامة[٣]..

وزعم الخليل أنها تثنية. كأنه قال: كلما أجبتك فى شئ، فأنا فى الآخر لك مجيب[٤].

قال سيبويه: " وزعم الخليل أنها تثنية بمنزلة حواليك، لأنا سمعناهم يقولون: حنان[٥].."

وأيد سيبويه قول الخليل، واحتج على يونس فقال: " ويدلك على صحة قول الخليل قول بعض العرب: لب، يجريه مجرى أمس وغاق، قال: ويدلك على أن لبيك ليست بمنزلة عليك أنك إذا أظهرت الاسم قلت: لبى زيد وأنشد:

دعوت لما نابنى مسوراً ∴ فلبى فلبى يدى مسور[٦]

فلو كان بمنزلة على لقلت: فلبى يدى، لأنك لا تقول: على زيد إذا أظهرت الاسم[٧]..

---

[١] لسان العرب ٥/٣٩٨٠ "لبب". المزهر ٢/١٩٣.

[٢] الكتاب ١/٣٥٠.

[٣] لسان العرب ٥/٣٩٨٠ "لبب".

[٤] لسان العرب ٥/٣٩٨٠ "لبب".

[٥] الكتاب ١/٣٥١.

[٦] قد سبقت الاشارة اليه ص٩١ من البحث.

[٧] لسان العرب ٥/٣٩٨٠ " لبب ".

فقوله: فلبى يدى مسور": الفاء للتعليل، و"لبى" مصدر منصوب على المفعولية المطلقة بفعل محذوف، وهو مضاف، "ريدى" مضاف إليه وهو اسم ظاهر. وهذا شاذ، وفيه دليل على أن "لبيك" مثنى وليس مفرداً مقصوراً، وقد اختلف النحاة فى مذا:

فذهب سيبويه إلى أن "لبيك" وأخواتها مثنى، وأنه منصوب على المصدرية بفعل محذوف، وأن تثنيته يقصد بها التكثير فهو على هذا ملحق بالمثنى كقوله تعالى:((ثُمَّ ارْجِعِ الْبصر كَرَّتَيْنِ))[١] أى كرات، وليس المراد بكرتين مرتين فقط، لقوله تعالى: ((ينْقَلِبْ إِلَيْك الْبصرُ خَاسِئاً وهُو حَسِيرٌ)) أى مزدجراً وهو كليل، ولا ينقلب البصر مزدجراً كليلا من كرتين فقط، فتعين أن يكون المراد بكرتين التكثير لا اثنين فقط، وكذلك لبيك معناه: إقامة بعد إقامة، فليس المراد به الاثنين فقط، وكذا باقى أخواته.

وذهب يونس إلى أنه ليس بمثنى، وأن اصله "لبى" وأنه مقصور، قلبت ألفه ياء مع المضمر، كما قلبت ألف "لدى، وعلى" مع الضمير فى "لديه وعليه"[٢].

ورد عليه سيبويه فقال: "فلو كان بمنزلة "على" لقال فلبى يدى مسور: لأنك تقول "على زيد" إذا أظهرت الاسم. واختار ابن عقيل مذهب سيبويه[٣].

وقول الخليل هو الصواب من ثلاثة أوجه: أحدها: إفراد "حنان" تارة، وتثنية تارة فى "حنانيك". والثانى: الإضافة إلى الظاهر مع وجود الياء خلاف قولهم على ذلك، وذلك على لبى زيد وسعدى زيد "أى أن الأصل مع وجود الياء فى قولهم: لبى زيد، وسعدى زيد، وذلك خلاف قولهم على زيد وعلى يديه".

والوجه الثالث: ما تقتضيه المبالغة من التثنية على ما بينا قبل ولا يجوز فى حواليك وحواليك إلا الإفراد والتثنية للإشهار بأنهما فيما يلزم فيه تثنية لا على ما توهم يونس أنه واحد وكذلك إفراد "حنان" من الإضافة فإنما هو للإشعار بأنها إضافة أصلها الإنفصال لزمت لعلة قد بيناها. قال الراجز:

---

[١] من الآية ٤ فى سورة الملك.

[٢] الكتاب ٣٥٣/١.

[٣] شرح ابن عقيل ٥٥/٣.

أهدموا بيتك لا أبالكا ∴ وأنا أمشى الدألى حوالكا

فهذا شاهد فى "حوالك" أنه يجوز معْ جواز "حواليك".

وقال:

دعوت لما نابنى مسورا ∴ نلبى فلبى يدى مسور

فهذا شاهد على التثنية مع الإضافة الى الظاهر، وقد بينت به أيضاً أن التثنية تكون للمبالغة فهو شاهد فى تأويل قوله تعالى: ((ما منَعك أنْ تَسْجُد لما خَلَقْتُ بيديّ))[1][2]..

الغرض من تثنية هذه المصادر:

اعلم أن هذه المصادر التى وردت بلفظ التثنية الغرض من التثنية فيها التكثير وأنه شئ يعود مرة بعد مرة، وليس المراد منها الإثنين فقط كما تقول أدخلوا الأول فالأول، والغرض أن يدخل الجميع، وجئت بالأول فالأول حتى يعلم أنه شئ بعد شئ، ومنه يقال: جاءنى القوم رجلاً فرجلاً على هذا المعنى، ولا يحتاج إلى أكثر من تكريره مرة واحدة وانتصابه على المصدر الموضوع موضع الفعل ... فإذا قلت "حنانيك" فهو منصوب بفعل مضمر تقديره: تحنن تحنناً بعد تحنن لكنهم حذفوا الفعل لأن المصدر صار بدلاً منه. وثنى مبالغة وتكثيراً أى تحنناً بعد تحنن ولم يقصد بها قصد التثنية خاصة، وإنما يراد بها التكثير فجعلت التثنية علماً لذلك لأنها أول تضعيف العدد وتكثيره، وهذا المثنى لا يتصرف ومعنى عدم التصرف أنه لا يكون إلا مصدراً منصوباً، ولا يكون مثنى إلا فى حال الإضافة، كما لم يكن "سبحان الله، ومعاذ الله" إلا مضافين وإنما لم يتمكن إذا ثنيت لأنه دخله بالتثنية لفظاً معنى التكثير فدخل هذا اللفظ هذا المعنى فى موضع المصدر فقط فلذلك لم يتصرفوا فيه[3].

---

[1] من الآية ٧٥ من سورة ص.

[2] المخصص لابن سيدة ٢٣٣/١٣.

[3] شرح المفصل لابن يعيش ١١٨/١، الكتاب ٣٤٨/١، ٣٤٩، ٣٥١، كتاب الشعر ١٣٢/١، ١٣٣، والخزانة ٩٢/٢.

وقال أبو الفتح فى قوله تعالى: ((بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ[١] ..)): هذه القراءة تدل على أن القراءة العامة التى هى "بين أخويكم" لفظها لفظ التثنية، ومعناها الجماعة، أى كل اثنين فصاعداً من المسلمين اقتتلا فأصلحوا بينهما، ألا ترى أن هذا حكم عام فى الجماعة، وليس يختص به منهم اثنان مقصودان؟ ففيه إذاً شيئان: أحدهما: لفظ التثنية يراد به الجماعة، والآخر: لفظ الإضافة لمعنى الجنس، وكلاهما قد جاء منه قولهم: لبيك وسعديك، فليس المراد هنا إجابتين ثنتين، ولا إسعادين اثنين، ألا ترى أن الخليل فسره فقال: معناه: كلما كنت فى أمر فدعوتنى له أجبتك إليه، وساعدتك عليه[٢].. وكذلك قول الله تعالى: ((بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتَانِ[٣]..)) ونعم الله أكثر من أن تحصى، وكذلك قوله:

إذا شق برد شق بالبرد مثله ∴ دواليك حتى كلنا غير لابس [٤]

قال الرضى: "وأما نحو قوله تعالى: ((ربِّ ارْجِعُونِ..[٥])) على تأويل ارجعنى ارجعنى ارجعنى، وقول الحجاج: يا حرسى اضربا عنقه" أى اضرب، اضرب. فليس الأول بجمع، والثانى بتثنية، إذ التثنية ضم مفرد إلى مثله فى اللفظ غيره فى المعنى، والجمع ضم مفرد إلى مثليه أو أكثر فى اللفظ غيره فى المعنى، وارجعون واضربا بمعنى التكرير كما ذكرنا، والتكرير ضم الشئ إلى مثله فى اللفظ مع كونه إياه فى المعنى للتأكيد والتقرير. والغالب فيها يفيد التأكيد أن يذكر بلفظين فصاعداً لكنهم اختصروا فى بعض المواضع باجرائه مجرى المثنى والمجموع لمشابهته لهما من حيث إن التأكيد اللفظى أيضا ضم شئ إلى مثله فى اللفظ، وإن كان إياه فى

---

[١] من الآية ١٠ فى سورة الحجرات.

[٢] الخصائص ٣/٤٥.

[٣] من الآية ٦٤ فى سورة المائدة.

[٤] المحتسب لابن جنى ٢/٢٧٨، ٢٧٩.

[٥] من الآية ٩٩ فى سورة المؤمنون.

المعنى أيضاً فقوله: اضربا عنقه مثل "لبيك وسعديك، وقوله تعالى: ((ثُمَّ ارْجِعِ الْبصر كَرَتَيْن[١]..)) فى كون اللفظ فى صورة المثنى وليس به[٢]..

قال الزمخشرى: "فإن قلت: كيف ينقلب البصر خاسئاً حسيراً برجعه كرتين اثنتين؟ قلت: معنى التثنية التكرير بكثرة كقولك: لبيك وسعديك. تريد إجابات كثيرة بعضها فى أثر بعض. وقولهم فى المثل: " دهدرين وسعدالقين"[٣] من ذلك: أى بعد باطل. فإن قلت: فما معنى ثم ارجع؟ قلت: أمره برجع البصر ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الأولى، وبالنظرة الحمقاء، وأن يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود، ويعاود إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة فإنه لا يعثرعلى شئ من فطور.

وقال فيه: " لم خص الكرتين؟ فأجاب بان معنى التثنية ها هنا التكثير[٤].

لماذا جازت التثنية فى المصادر السابقة ولم يجز الجمع؟

وإنما جازت التثنية للمبالغة ولم يجز الجمع؛ لأن التثنية أولى بالتفضيل شيئاً بعد شئ من الجمع، إذ كانت التثنية لا تكون إلا على الواحد؛ والجمع قد يكون على غير الواحد نحو نفر ورهط فهذه المبالغة تقتضى تضعيف المعنى كما قال سيبويه فى "حنانيك" كأنه قال تحنناً بعد تحنن، وحناناً بعد حنان، والتثنية أدل على هذا التفضيل من الجمع لما بينا فكلما قل النظير فى معنى التعظيم فهو أشد سبالغة؛ لأنه إذا قل النظير قل من يستغنى بغيره عنه أى من يحتاج إليه ولا يستغنى بغيره عنه فهو أجل فى التعظيم مما ليس فوق تعظيمه تعظيم وهذه الصفة لا تكون إلا لله تعالى، وهذا الذى شرحنا يكشف لك عن النادر فى المعنى، وأن لفظه ينبغى أن يعامل معاملة تشعر بهذا المعنى فسبحان من طبع نفوس العقلاء على هذه الحكم والفطن، ولا تجوز هذه المبالغة إلا بالإضافة لأمرين: أحدهما: طلب الأعرف فى هذا المعنى النادر لأنه يصير كالمثل. والآخر: أن الإضافة إلى المعظم أخص

---

[١] من الآية ٤ فى سورة الملك.

[٢] شرح الكافية للرضى ١/١٥.

[٣] قد سبق تخريج المثل ص ١٠٠، ١٠١ من هذا البحث.

[٤] الكشاف ٤/١٣٥.

بمعنى التعظيم من الانفصال فلهذا لم يجز "حنانيك، ولبيك، وسعديك" وما جرى مجراهما إلا بالإضافة، وعلة الإضافة فيه كعلة لزوم الإضافة فى سبحان الله وسعاذ الله ... وليس كل معنى تصلح فيه المبالغة كمعنى القعود والقيام ونحو ذلك[١].

والذى يجوز فى المصدر المثنى المحمول على الفعل المتروك إظهاره إذا كانت الحال حال تعظيم فى خطاب رئيس، وكان اللفظ ينبئ عن جنس الفعل حمل المصدر على الفعل المتروك إظهاره للمبالغة فى التعظيم إلى أعلى منزلة على طريق المعنى النادر، فأجرى اللفظ على ما يقتضيه ذلك المعنى من ترك التصريف والتثنية لتضعيف فعل التعظيم حالاً بعد حال كقولهم: لبيك وسعديك ففيه مبالغة تعظيم مما عومل به مما يقتضى ذلك مع أن معناه عن طريق حقيقته يقتضى التعظيم، وتقدير نصبه كتقدير متابعة لأمرك، وإسعاداً لك إلا أنه جعل لبيك وسعديك موضع تقدير المصدرين، وعومل بما يقتضى المبالغة من التثنية وترك التصرف على طريق النادر لينبئ عن علو المنزلة ولا يجوز فى مثل هذا أن يكثر فى التقدير لأنه ينافى المعنى الذى هو حقه من مجيئه نادرا فى بابه ليدل على الخروج إلى علو المنزلة والانفراد بجلال الحالة[٢]..

اختلاف النحاة فى هذه التثنية:

واختلف فى تثنية تلك المصادر السابقة: أهى تثنية يشفع بها الواحد، والمراد إجابة موصولة بأخرى، ومساعدة موصولة بأخرى، وحنان موصول بآخر. أم هى تثنية يراد بها التكثير على قولين أصحهما الثانى قال أبو حيان: " والجمهور على أن هذه تثنية يراد بها التكثير ومداولة الفعل لا شفع الواحد، وذهب بعض النحاة إلى أنها تثنية تشفع الواحد، وقال هذا السهيلى فى حنانيك[٣]..".

وقال ابن الحاجب: " ومنه ما يكون مثنى: هذا النوع له جهتان: سماعية وقياسية، فالسماعية: أن يسمع كونه مثنىبهذا المعنى فلا يقاس عليه فيثنى غير ما

---

[١] المخصص لابن سيده ١٣/٢٣٢، ٢٣٣.

[٢] المخصص لابن سيده ١٣/٢٣١، ٢٣٢.

[٣] الارتشاف ٢/٢٠٩.

سمع، والقياسية: أن كل ما جاء مثنى حذف فعله وجوباً من غير أن يحتاج إلى سماع، ومعنى التثنية فى ذلك التكرير والتكثير[١]".

وقال السهيلى بالرأى الأول: وهو أن المراد التثنية التى يشفع بها الواحد، وخاصة فى "حنانيك" ورأيه مردود. قال السيوطى: وأخذ السهيلى بالأول فى "حنانيك" خاصة. قال المراد: رحمة فى الدنيا ورحمة فى الآخرة. ورد بأن من العرب من استعمله وهو لا يعتقد الآخرة. قال طرفة.

... ... ∴ حنانيك بعض الشر أهون من بعض[٢]

والشاهد فيه: حيث جاءت "حنانيك" مثناة ويراد بها التكثير وفيه رد على السهيلى الذى أراد التثنية التى يشفع بها الواحد.

وذهب يونس إلى أن "لبيك" اسم مفرد وأصله "لبى" قلبت ألفه ياء للإضافة إلى المضمر كما فى "عليك".

ورد عليه سيبويه بقوله "قلبى يدى مسور" لإثبات الياء مع الظاهر[٣]..

قال سيبويه: "وزعم يونس أن "لبيك" اسم واحد، ولكنه جاء على هذا اللفظ فى الإضافة كقولك "عليك"، وقال سيبويه:

دعوت لما نابنى مسورا ∴ فلبى فلبى يدى مسور

فلو كان بمنزلة على لقال "فلبى فلبى يدى مسور، لأنك تقول على زيد إذا أظهرت الاسم[٤].. ورد به على يونس فى أنه مقصور قلبت ألفه ياء مع الضمير كلدى..

ورد هذا أيضا بأنه على نية الوقف. قال الأمير فى حاشيته على المغنى: "وأجيب بأن لبى يدى" وصل بنية الوقف على لغة من يقف على أفعى بالياء[٥] ...

فزعم يونس بن حبيب أن "لبى" اسم مفرد على وزن "فعلى" بفتح فسكون- وأن ألفه انقلبت ياء عند اتصاله بالضمير، كما تنقلب ألف "لدى" وألف "على" الجارة

---

[١] الإيضاح فى شرح المفصل ٢٣٤/١، ٢٣٥.

[٢] الإيضاح فى شرح المفصل ٢٣٤/١، ٢٣٥.

[٣] توضيح المقاصد والمسالك للمرادى ٢٦١/٢.

[٤] الكتاب ٣٥٢/١.

[٥] حاشية الأمير على المغنى ١٤٣/٢.

ياء عند اتصال الضمير بهما، إذ تقول "لديك" و"عليك". ووجه الرد من هذا البيت أن الياء لو لم تكن ياء التثنية، وكانت كما يقول يونس لكانت تبقى ألفاً حين يضاف هذا الاسم إلى الاسم الظاهر، كما أن ألف "لدى" وألف "على" تبقى على حالها حين تتصل إحدى هاتين الكلمتين بالاسم الظاهر كما في قوله تعالى: ((وألْفَيا سيِّدها لدى البابِ[١]..)) وكما في قوله سبحانه: ((وعلَيْها وعلَى الْفُلْكِ[٢]..)) فلما وجدنا ياء "لبيك" على حالها مع الإضافة للضمير وللظاهر جميعاً علمنا أنها ياء التثنية وليست كألف لدى وعلى، الا ترى أنك تقول في إضافة المثنى "كتابيك، وكتابى زيد" فتكون الياء على حالها عند الإضافة للظاهر وللضمير، فهذا كهذا.

استعمال " لب " اسم فعل:

حكى سيبويه عن بعض العرب: لب على أنه مفرد لبيك غير أنه مبنى على الكسر، لقلة تمكنه، واختلف فيه. فقيل: ينصب نصب المصدر كأنه قال: إجابة. قال سيبويه: "وبعض العرب يقولون لب فيجريه مجرى أمس وغاق، ولكن موضعه نصب[٣]..

وقال المصنف "ابن مالك": جعلوه اسم فعل[٤]..".

وفى اللسان: " وزعم الخليل أنها تثنية "يقصد لبيك وأخواته" كأنه قال: كلما أجبتك في شئ، فأنا في الآخر لك مجيب. قال سيبويه: ويدلك على صحة قول الخليل قول بعض العرب: لب يجريه مجرى أمس وغاق[٥]..".

وقال أبو حيان: " ولم يسمع لبا، وسمع لب وحكى سيبويه عن بعض العرب: لب على أنه مفرد لبيك غير أنه مبنى على الكسر كأمس، وغاق، ولقلة تمكنه ونصبه

---

[١] من الآية ٢٥ في سورة يوسف.

[٢] من الآية ٨٠ في سورة غافر.

[٣] الكتاب ٣٥١/١.

[٤] توضيح المقاصد والمسالك للمرادى ٢٦٠/٢.

[٥] اللسان ٣٩٨٠/٥ "لبب".

نصب المصدر كأنه قال إجابة لك، وزعم ابن مالك اسم فعل فاسد فى قوله: "دعونى فيالبى إذا هدرت لهم[١][٢].

أما يونس فذهب إلى أن "لبيك" اسم مفرد قال سيبويه: "وزعم يونس أن "لبيك" اسم واحد ولكنه جاء على هذا اللفظ فى الإضافة كقولك "عليك"[٣] ووجه قوله أن المصادر يقل فيها التثنية والجمع. وقد وضح هذا الخلاف أبو حيان والسيوطى..

يقول أبو حيان: "فأما "لبيك" فذهب الخليل وسيبويه والجمهور إلى أن تثنية "لب" كما فى "حنانيك" تثنيته حنان، وذهب يونس إلى أنه اسم مفرد قلبت ألفه ياء؛ للإضافة إلى المضمر كما فى "عليك" ولم يسمع لبا وسمع لب. وحكى سيبويه عن بعض العرب لب على أنه مفرد "لبيك". وأنه مبنى على الكسر كأمس، وغاق، ولقلة تمكنه ونصبه نصب المصدر كأنه قال: إجابة لك[٤].." وأسماء الأصوات يجمعها بعض النحاة مع اسم الفعل[٥].

أما ابن مالك فذهب إلى أن "لبيك" اسم فعل بمعنى أجبت.

قال أبو حيان: "وزعم ابن مالك أن اسم فعل فاسد للإضافة فى قوله:

دعونى فيالبى إذا هدرت لهم ∴ شقاشق أقوام فأسكتها هدرى[٦]

---

[١] صدر بيت من الطويل، وعجزه: شقائق أقوام فاسكنها هدرى، والشقاشق: جمع شقشقة وهى أن يكثر الخطيب حتى كأنه بعيد يرغو ويزيد يريد أن المستنجدين به دعوه فلبى دعوتهم حين أدغى أعداؤهم فأسكتهم بهدره وبلاغته. الارتشاف ٢٠٩/٢، المغنى ٥٧٨/٢، شرح الجمل الكبير لابن عصفور ٤١٤/٢.

[٢] الارتشاف ٢٠٨/٢، ٢٠٩.

[٣] الكتاب ٣٥١/١.

[٤] الارتشاف ٢٠٨/٢، ٢٠٩، الهمع ١٨٩/١، ١٩٠.

[٥] شرح التسهيل ١٨٦/٢.

[٦] لم أعثر على قائله، وقد ورد فى المغنى ص ٥٧٨، وشرح الجمل الكبير لابن عصفور ٤١٤/٢، والشقاشق: جمع شقشقه، وهى: أن يكثر كلام الخطيب حتى كأنه بعير يرغو ويزيد، يريد أن المستنجدين به دعوه فلبى دعوتهم، حين أرغى أعداؤهم فأسكتهم بهدره وبلاغته. وشذوذ البيت لعدم إضافته.

ويضاف إلى الظاهر: تقول: لبى زيد، وسعدى زيد، وإلى ضمير الغائب، قالوا: لبيه، ودعوى الشذوذ فيهما باطلة[١] ..."

أى أن ابن مالك لكى يؤيد قوله: بأن "لبيك" اسم فعل بمعنى: أجبت، ذهب إلى القول بشذوذ إضافة "لبيك" إلى الضمير الغائب، والاسم الظاهر. لكن رد عليه أبو حيان بأن سيبويه قال فى كتابه: "يقال: لبى زيد، وسعدى زيد" فساق ذلك مساق النقاش المطرد[٢].."

نقول: قد سمع "لب" بالكسر، وهو اسم فعل مبنى كما بنى اسم الفعل، أو اسم الصوت، وهذا ما دل عليه كلام ابن مالك فى شرح التسهيل[٣].. فلا داعى لتخطئة ابن مالك.

ولب التى أجراها الخليل مجرى أمس وغاق هى المفردة من "لبيك" وبهذا استدل الفارسى أن هذه الألفاظ الجارية مجرى الأصوات كهلم قد تشتق منها افعال، وبهذا قال: إن الآن من قوله تعالى: ((قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ))[٤] ومن حيث ما تصرفت مأخوذة من القرب ولهذا استجاز قولهم لا أهلهم على أنه مأخوذ من هلم[٥]..

****

---

[١] الارتشاف ٢/٢٠٨، ٢٠٩.

[٢] المرجع السابق، والهمع ١/١٨٩، ١٩٠.

[٣] شرح التسهيل ٢/١٨٦.

[٤] من الاية ٧١ من سورة البقرة.

[٥] المخصص لابن سيده ١٣/٢٣٣، ٢٣٤.

٣ـ الخلاف فى إعراب هذه المصادر

اختلاف النحاة فى إعراب المصدرين "دواليك وهذاذيك":

حاصل هذه المسألة: أن الجمهور من النحاة ذهبوا إلى أن "دواليك" مفعولمطلق، دال على التكرار، ولم يجيزوا فى هذا اللفظ غير هذا الوجه من الأعراب، ومثله "هذاذيك" فمعنى "دواليك" تداولاً بعد تداول، ومعنى "هذاذيك" هذاً لك بعد هذ، وذهب سيبويه إلى تجويز وجهين من الأعراب فى كل كلمة من هاتين الكلمتين.

الوجه الأول: أن تكون مفعولاً مطلقاً، كما قال الجمهور، والوجه الثانى: أن تكون حالاً على التأويل بالمشتق، وتقدير "دواليك" على هذا الوجه الثانى: متداولين، وتأويل "هذاذيك" عليه "هاذين".

وقد رد ابن هشام على سيبويه بأنه يلزم على القول بأن كل واحدة من هاتين الكلمتين حال، أمران: كل واحد منهما خلاف الأصل، الأول: ان يقع الحال معرفة؛ لأنا علمنا أن هذا اللفظ مصدر مضاف إلى ضمير المخاطب، وإضافة المصدر تفيد التعريف. والأمر الثانى أنه يلزم وقوع المصدر الدال على تكرار الحدث حالاً، ولم يرد فى كلام العرب وقوع هذا المصدر حالاً، ولكنا حفظنا من كلامهم وقوعه مفعولاً مطلقاً، بدليل مجيئه فى القرآن الكريم نحو: قوله تعالى: ((ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ[1]..)). وإذ قد ورد وقوع المصدر الدال على التكرار مفعولاً مطلقاً بدليل ظاهر فى ذلك، ولم يرد وقوعه حالاً بدليل ظاهر فى الحالية لزمنا أن نذهب إلى ما ثبت بدليل ظاهر.

قال ابن هشام: "وتجويز سيبويه فى "هذاذيك" فى البيت، وفى "دواليك" من قوله:

دواليك حتى كلنا غير لابس

---

[1] من الآية ٤ من سورة الملك.

الحالية بتقدير: نفعله متداولين، وهاذين- أى مسرعين -ضعيف؛ للتعريف، ولأن المصدر الموضوع للتكثير لم يثبت فيه غير كونه مفعولاً مطلقاً[١]..".

قال فى التصريح:

"وتجويز سيبويه- مبتدأ ومضاف إليه- فى "هذاذيك" فى البيت السابق للعجاج، وفى "دواليك" من قوله "وهو سحيم بن الحسحاس:

إذا شق برد شق بالبرد مثله ∴ دواليك حتى كلنا لابس

الحالية" مفعول "تجويز" بتقدير: نفعله متداولين، وهاذين - أى: مسرعين - ضعيف[٢]" خبر "تجويز" للتعريف، بالإضافة إلى الضمير والحال واجبة التنكير[٣].

وجوابه: أنه مؤول بنكرة، كما فى: "جاء زيد وحده".

ولأن المصدر الموضوع للتكثير، لم يثبت فيه غير كونه مفعولاً مطلقاً لا حالاً، وجوابه: أن ذلك يحتاج إلى استقراء تام، وفيه عسر"[٤].

ولما كانت هذه الألفاظ مثناة فى ظاهرها دون معناها -إذ المراد منها الكثرة والتكرار الذى يزيد على اثنين، كما قلنا- جعلوها ملحقة بالمثنى فى إعرابه مراعاة لمظهرها وأصلها، وليست مثنى حقيقياً من ناحية معناها. ويعربونها مفعولاً مطلقاً لفعل من لفظها. وهذا الإعراب أفضل من إعرابها حالاً مؤولة؛ لأن هذه الألفاظ معارف، بسبب إضافتها للضمير، والأصل فى الحال أن تكون نكرة بغير تأويل، لا معرفة، قدر الاستطاعة، وتفضيل إعرابها مفعولاً مطلقاً إنما يكون حيث يقتضيه المعنى، فإذا اقتضى المعنى بيان الهيئة- وهذا من خصائص الحال- وجب النزول على ما يقتضيه. ونقل بعضهم- والأخذ بهذا أحسن- أن لها فعلاً من لفظها هو: هذ، يهذ- هذا- بمعنى: أسرع، يسرع- إسراعاً. ومن معانيها: كف - يكف..

---

[١] أوضح المسالك ٣/١١٧: ١١٩، المخصص لابن سيده ١٣/٢٣٣. والشاهد فيه: قوله "دواليك" حيث أضيف إلى ضمير المخاطب كما ترى، وهو مفعول مطلق لفعل من معناه. وليس يصح أن يكون حالا خلافاً لسيبويه.

[٢] تجويز سيبويه- فى "دواليك" أن تكون حالاً. وكذلك "هذاذيك" الكتاب ١/٣٥١.

[٣] الأوفق ان يقال: والحال تنكر غالباً

[٤] التصريح بمضمون التوضيح ٣/١٤٤، أوضح المسالك ٣/١١٧: ١١٩.

إجازة الأعلم الشنتمرى الوصفية فى المصدر "هذاذيك":

قال ابن هشام: " وتجوير الأعلم فى "هذاذيك" فى البيت الوصفية مردود. وقوله فيه وفى أخواته: إن الكاف لمجرد الخطاب مثلها فى "ذلك" مردود أيضا؛ لقولهم "حنانيه" و"لبى زيد" ولحذفهم النون لأجلها، ولم يحذفوها فى "ذانك" وبأنها لا تلحق الأسماء التى لا تشبه الحرف[١]..".

أعرب الأعلم الشنتمرى "هذاذيك" فى قول سحيم "ضرباً هذاذيك" صفة لضرباً، وهذا الإعراب مردود بأن ضرباً نكرة، وهذاذيك عند الجمهور معرفة، ولا توصف النكرة بالمعرفة.

ومن أجل ذهابه إلى أن "هذاذيك" نعت "لضرباً" النكرة، ذهب إلى أن هذه الكاف فى "هذاذيك" وأخواتها حرف خطاب، مثل الكاف فى أسماء الإشارة نحو "ذلك وتلك" وهذا فاسد من ثلاثة أوجه:

الأول: أنهم أضافوا بعض هذه الألفاظ لضمير الغيبة- وإن كان ذلك شاذاً نحو: " لبيه" وللاسم الظاهر نحو: "لبى يدى مسور" وقد علمنا أن اسم الإشارة لم يتصل به إلا كاف الخطاب، فلما اختلف حال هذه الألفاظ وحال اسم الإشارة لم يكن لنا أن نحمل هذه الألفاظ على اسم الإشارة.

والوجه الثانى: أنا علمنا أن هذه الألفاظ مثناة لفظاً، ووجدنا العرب حين وصلت بها كاف الخطاب قالت "دواليك" و"حنانيك" فحذفوا النون التى هى بدل فى المثنى عن تنوين المفرد، كما يحذفونها من كل مثنى عند الإضافة نحو قوله تعالى: ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ[٢]..)) ووجدناهم مع ذلك – لم يحذفوا النون من اسم الإشارة المراد به المثنى فى نحو: "ذانك" و"تانك" فعلمنا أن اسم الإشارة ليس مضافاً إلى الكاف الملحقة به، ولزم أن تكون الكاف حرفاً، كما علمنا من حذف النون من "دواليك" وأخواته أنه مضاف إلى الكاف، ولزم أن تكون الكاف فيه اسماً..

---

(١) أوضح المسالك ٣/١٢٠، ١٢١، المخصص لابن سيده ١٣/٢٣٣.

(٢) من الآية الأولى فى سورة المسد.

والوجه الثالث: أنا علمنا باستقراء كلام العرب أنهم يلحقون الكاف الحرفية بالأسماء التى تشبه الحروف مثل أسماء الإشارة فى نحو: ذلك، وتلك، وذانك، وتانك، ومثل الضمائر فى نحو: "إياك" ولم نجدهم ألحقوا هذه الكاف باسم غير مشبه للحرف، ولا شك أن "دواليك" وأخواته أسماء لا تشبه الحرف، فلم يكن لنا أن نقر شيئا يخرج عن مجرى كلامهم. وقولنا: إن الكاف فى "إياك" وأخواتها حرف خطاب مبنى على مذهب سيبويه وجماعة من البصريين والكوفيين، وهو الراجح من أربعة مذاهب ذكرت فى باب الضمير فإن قلت: فإذا كانت الكاف فى "دواليك" ضمير الخطاب على ما تختاره. فما موضعها من الإعراب؟

فالجواب على ذلك أن نقول لك: هى أولاً فى محل جر بإضافةالمصدر المثنى إليها، ولها محل آخر هو الرفع أو النصب، وذلك لأن المصدر يضاف إلى فاعله، ويضاف إلى مفعوله، فإن جعلت الكاف فاعل المصدر فهى فى محل رفع، وإن جعلتها مفعول المصدر فهى فى محل نصب.

فإن قلت: وهل أعدها فاعل المصدر، أو أجعلها مفعول المصدر؟ فالجواب عن ذلك أن نقول لك: إن النحاة يذكرون أن هذه الكاف فى موضع نصب على أنها مفعول المصدر، ولا نرى لك أن تطرد هذا الكلام فى الكافات كلها، بل نلزمك أن ترجع إلى المعنى المقصود بالكلام، ألا ترى أن من يقول لطالبه: "لبيك وسعديك" إنما يريد إنى أجيبك إجابة ستكررة، وأسعدك اسعاداً متكرراً. فتكون الكاف للمفعول، وقائل: "حنانيك" إنما يريد أن يقول لمخاطبه: تحنن على، وارفق بى" فالكاف لفاعل الحنان. وانظر إلى قول طرفة بن العبد النعمانى:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ∴ حنانيك بعض الشر أهون من بعض[١][٢]

وقال الشيخ خالد (ت٩٠٥) فى شرح التصريح: " وتجويز الأعلم -وهو يوسف الشنتمرى- لقب بالأعلم لأنه كان مشقوق الشفة العليا- فى "هذاذيك" فى البيت

---

[١] سبق تخريج هذا البيت ص ٨٨ من البحث.

[٢] عدة المسالك إلى تحقيق أوضح المسالك للشيخ محمد محى الدين عبد الحميد ٣/١٢٠، ١٢١.

السابق للعجاج "الوصفية"[١] لضرباً "مردود" خبر "تجويز" لذلك، وهو التعريف، لأن ضرباً نكرة، فلا يوصف بمعرفة، ولأن المصدر الموضوع للتكثير، لم يثبت فيه غير كونه مفعولاً مطلقاً.

والجواب عن التعريف: أن الأعلم لا يقول بأن الكاف اسم مضاف إليه، بل حرف خطاب، كما سيصرح به.

والجواب عن الثانى: يعرف مما تقدم، وهو أن ذلك يحتاج إلى استقراء تام، وفيه عسر.

قال الأعلم فى حديثه عن بيت سحيم السابق: "الشاهد فيه قوله: "دواليك" ونصبه على المصدر الموضوع موضع الحال ... والكاف للخطاب، ولاحظ لها فى معنى الإضافة، فلذلك لم يتعرف ما قبلها بها، ووقع حالاً[٢].."

وقوله أى: الأعلم – مبتدأ، ومضاف إليه "فيه" أى: "هذاذيك" وفى أخواته" وهو: لبيك، وسعديك، وحنانيك، ودواليك، "إن الكاف" المتصلة بها حرف "لمجرد الخطاب" مثلها "الكاف" فى ذلك مردود– خبر "قوله" أيضا لقولهم" بلام التعليل– متعلق بمردود، "حنانيه" بإضافته إلى ضمير الغيبة، و"لبى زيد" بإضافته إلى الظاهر، فتعين أن تكون الكاف فى "لبيك" وأخواته اسماً لقيام الاسم مقامها؛ لأن الاسم إنما يقوم مقام مثله[٣]..

فاسم الإشارة لم يتصل به إلا كاف، أما هذه الألفاظ فأضافوا بعضها لضمير الغيبة، وللاسم الظاهر، فلم يكن لنا أن نحمل هذه الألفاظ على اسم الإشارة.

"ولحذفهم النون لأجلها، ولم يحذفوها فى ذانك" و"تانك" فنى ذلك دليل على أنها اسم مضاف إليه.

---

[١] قال الأعلم فى حديثه عن بيت العجاج: " وهو – أى: هذاذيك– صفة للضرب، أو بدل منه.

[٢] التصريح بمضمون التوضيح ١٤٤/٣، ١٤٥، هامش الكتاب ١٧٤/١، ١٧٥ بولاق.

[٣] شرح التصريح ١٤٥/٣.

فعلم من ذلك أن اسم الإشارة ليس مضافاً إلى الكاف الملحقة به، لأن أسماء الإشارة لا تضاف، ولزم أن تكون الكاف حرفاً، وعلم من حذف النون من "دواليك" وأخواته أنه مضاف إلى الكاف، ولزم أن تكون الكاف فيه اسماً.

- وبأنها أي: الكاف الحرفية " لا تلحق الأسماء التي لا تشبه الحرف، وكل ما لا يشبه الحرف، لا تلحقه الكاف الحرفية، فالكاف الحرفية لا تلحق " لبيك" وأخواته؛ لأنها لا تشبه الحرف[١] .." أما الأسماء التي تشبه الحرف فالعرب تلحق بها الكاف الحرفية ومن ذلك: أسماء الإشارة في نحو: ذلك، وتلك، وذانك، وتانك- ومثل الضمائر في نحو: إياك وأما "لبيك" وأخواته فليس مما يشبه الحرف الكاف معه ليست الكاف الحرفية، وإنما هي ضمير المخاطب..

فهذه ثلاث علل للرد على الأعلم، علتان وجوديتان، وعلة عدمية، فاستعمل مع الوجودي اللام، لأنها الأصل في التعليل، واستعمل مع العدمي الباء تغايراً بينهما، وتفننا في التعبير.

والجواب عن الأولى: أن "حنانيه"، و"لبى زيد" شاذان، وخارجان عن القياس[٢]... أي في قول ابن هشام، وشذت إضافة "لبى" إلى ضمير الغائب... وإلى الظاهر..." فلا يصلحان للرد. وقول أبي حيان في الارتشاف: " ودعوى الشذوذ فيهما باطلة[٣]. " ضعيف.

وعن الثانية: أن "النون" يجوز حذفها لشبه الإضافة، كما صرح به الأعلم في نفس المسألة، وكما في "اثنى عشر" وإنما لم تحذف في "ذانك" و"تانك" للألباس بالمفرد.

عامل النصب لهذه المصادر:

الناصب لهذه المصادر فعل واجب الإضمار، ويقدر في غير "لبيك" من لفظه. والتقدير في "لبيك" أجبت إجابتك، وكأنه من ألب بالمكان إذا قام به[٤].." أي الناصب

---

[١] شرح التصريح ١٤٦/٣.

[٢] شرح التصريح ١٤٦/٣.

[٣] الارتشاف ٢٠٩/٢. باب المفعول المطلق.

[٤] توضيح المقاصد والمسالك للمرادي ٢٥٩/٢، الارتشاف ٢٠٩/٢.

فى "لبيك" من غير لفظه وكذلك هذاذيك. قال فى شرح التصريح: "وعامله" أى: هذاذيك، وعامل لبيك من معناهما على حد: قعدت جلوساً، والتقدير: أسرع، وأجيب.. وعامل البواقى من الأمثلة من لفظها، والتقدير: أسعد، وأتحنن، وأتداول[١]..."

فنقول فى المصادر كلها: " لبيك وسعديك وحنانيك ودواليك كل ذلك مفعول مطلق منصوب بالياء، والكاف ضمير متصل مبنى على الفتح فى محل جر مضاف إليه، والعامل محذوف، ويقدر كما سبق بيانه..

قال أبو حيان: "والناصب فى "لبيك" من غير لفظه "أى أجيب إجابتك" وكأنه من ألب بالمكان إذا أقام، وأما سعديك فلا يستعمل وحده بل تابعاً للبيك، ويجوز استعمال "لبيك وحده" والتقدير: تسعد إسعاداً لأمرك بعد إسعاد..".

والناصب فى هذه غير "لبيك" من لفظها[٢] ..".

****

---

[١] التصريح بمضمون التوضيح ١٤٣/٣.

[٢] الارتشاف ٢٠٩/٢.

٤ – حكم إضافة هذه المصادر إلى الاسم الظاهر وضمير الغيبة

حكم إضافة لبى واخواته إلى الظاهر:

"و" شذت إضافة "لبى" إلى الاسم الظاهر فى نحو قوله- وهو أعرابى من بنى أسد:

دعوت لما نابنى مسوراً ∴ فلبى، فلبى يدى مسور"[١]

وإليه أشار الناظم فى الخلاصة بقوله:

... ... ∴ وشذ إيلاء "يدى" للبى[٢]

وفى شرح المواقف: أن "يدى" فى البيت زائدة[٣].

و"مسوراً" علم منصوب على المفعولية بـ "دعوت" و"لما" يكسر اللام، **وتخفيف** الميم- متعلق بدعوت و"نابنى" بمعنى: أصابنى، صلة "ما"، وجملة "فلبى" **معطوفة** على جملة "دعوت" فالأصل: فلبانى، أى: قال لى: لبيك" فحذف المفعول **وهو الياء.**

والمعنى: دعوت مسوراً للأمر الذى نابنى من نوائب الدنيا، فلبانى. **وأصل هذا: أن** رجلاً دعا رجلاً اسمه مسور ليغرم عنه دية لزمته، فأجابه إلى ذلك، **وخص يديه** بالذكر، لأنهما اللتان أعطتاه المال حتى تخلص من نائبته.

وقيل: كانت عادة العرب ذلك مطلقاً، فجاء النهى عن ذلك.

روى عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إذا دعا أحدكم أخاه فقال: **لبيك، فلا** يقولن: لبى يديك، وليقل أجابك الله بما تحب[٤]" قاله الشاطبى[٥]..."

---

(١) هذا البيت من البحر المتقارب، ونسب لرجل من بنى أسد. ورد فى الكتاب **٣٥٢/١، وشرح** التسهيل ١٤٧/١، شرح التصريح ١٤٨/٣، والهمع ١٩٠/١.

(٢) أى: وشذ أن يلى لفظ "يدى" لفظ "لبى" أى: وشذ أن يقع "لبى" مضافاً، و"يدى" **مضاف إليه**، وإيلاء: فاعل شذ، "يدى" مضاف إليه من إضافة المصدر وهو "إيلاء" لمفعوله **الأول "للبى"** جار ومجرور متعلق بإيلاء على أنه مفعوله الثانى، واللام فيه لتقوية العامل؛ **لأنه مصدر..**

(٣) قوله: "وفى شرح المواقف: أن يدى" فى البيت زائدة" المناسب أن يؤخرها **إلى ما بعد الكلام** على معنى البيت وقبل قوله: وقبل: كانت عادة العرب... إلى آخره- لأن **ذكره بعد البيت** مباشرة، يوهم أنه مقابل لكلام المصنف، وليس كذلك فإن "يدى" مضافة إلى **مسور وإن كانت** زائدة بدليل ظهور جر مسور. إذ لا سبب له فى البيت إلا إضافة يدى إليه. **قاله الشيخ يس** فى حاشيته على التصريح ٣٨/٢.

(٤) ذكر نص هذا الحديث فى شرح التصريح ١٤٩/٢، والخزانة ٩٨/٢.

(٥) شرح التصريح ١٤٨/٣، ١٤٩.

قال ابن هشام: " وشذت إضافة لبى إلى الضمير الغائب فى نحو قوله: لقلت لبيه لمن يدعونى

وإلى الظاهر فى نحو قوله:

فلبى فلبى يدى مسور

وفيه رد على يونس فى زعمه أنه مفرد، وأصله لبا، فقلبت ألفه ياء لأجل الضمير، كما فى لديك وعليك، وقول ابن الناظم إن خلاف يونس فى لبيك وأخواته وهم[١].."

قال بدر الدين ابن الناظم: "أى مما لازم الإضافة إلى المضمر: وحدك ولبيك" بمعنى: إقامة على إجابتك بعد إقامة، و"دواليك" بمعنى: إدالة لك بعد إدالة، و"سعديك" بمعنى: إسعاداً لك بعد إسعاد، و"حنانيك" بمعنى: تحنناً عليك بعد تحنن، و"هذاذيك" بمعنى: إسراعاً إليك بعد إسراع.

ولا يضاف شئ من هذه الأسماء إلى ظاهر إلا فيما ندر من قول الشاعر:

دعوت لما نابنى مسوراً ∴ فلبى، فلبى يدى مسور[٢]

أنشده سيبويه، لأن يونس ذهب إلى أن "لبيك" وأخواته، أسماء مفردة، وأنه فى الأصل "لبى" على وزن "فعلى" فقلبت ألفه ياء لإضافته إلى المضمر، تشبيهاً لها بألف "إلى، وعلى، ولدى"[٣].

حكم إضافة لبى واخواته إلى إلى ضمير الغيبة :

قال المرادى: فإن قلت: قد ذكر فى شرح التسهيل: أن إضافة

لبيك إلى المضمر الغائب شاذة كإضافته إلى الظاهر، ومنه قول الراجز:

---

[١] أوضح المسالك ٣/١٢١ : ١٢٤.

[٢] البيت من البحر المتقارب. نسب لرجل من بنى أسد. اللغة: نابنى: نزل بى، مسور: بزنة درهم: اسم رجل، لبى: اجاب دعائى، وأغاثنى. والمعنى: دعوت مسوراً لما نزل بى، فلبى مسور دعائى واغاثنى. والشاهد فيه "فلبى يدى مسور" حيث أضاف "لبى" إلى اسم ظاهر وهو "يدى" شذوذاً. مواضعه: الكتاب ١/٣٥٢، المحتسب ١/٧٨، ٢/٢٣، وتوضيح المقاصد للمرادى ٢/٢٦٠، وابن يعيش ١/١١٩، وشرح الألفية لابن الناظم ٣٩٠، شرح ابن عقيل ٣/٥٢، التصريح بمضمون التوضيح ٢/٣٨، شرح الأشمونى ٢/٢٥١.

[٣] شرح الألفية لابن الناظم ٣٨٩، ٣٩٠.

لقلت لبيه لمن يدعـــونى[١]

وظاهر كلامه هنا جواز إضافته إلى المضمر مطلقاً.

قلت: لا يلزم من قوله: " امتنع إيلاؤه اسما ظاهراً" جواز إضافته لكل مضمر[٢]..

وفى الارتشاف: "ويضاف إلى الظاهر. تقول: لبى زيد وسعدى زيد وإلـــى ضـــمير الغائب قالوا: لبيه، ودعوى الشذوذ فيهما باطلة[٣]..

قال السيوطى: " ورده أبوحيان بأن سيبويه قال فى كتابه: يقال: لبى زيد، وســـعدى زيد فساق ذلك المساق المنقاس المطرد[٤]..

وفى شرح التصريح: "وشذت إضافة "لبى" إلى ضمير الغائب" فى نحو قوله:

إنك لو دعوتنى ودونى

زوراء ذات مترع بيون

لقلت لبيه لمن يدعونى[٥]

فـــ "دونى زوراء"- بالزاى، ثم الراء- جملة حالية من ياء المـــتكلم، و"الـــزوراء": الأرض البعيدة، و"ذات مترع" صفتها، والمترع: من قولهم: حوض ترع- بفتح الياء المثناة فوق- أى: ممتلئ، و"بيون- بفتح الباء الموحدة، وضم الياء المثنـــاة تحـــت- أى: واسعة بعيدة الأطراف.

---

[١] زوراء" بفتح الزاى وسكون الواو- الأرض البعيدة الأطراف، مترع: ممتد، بيرن: بزنة صبور- البئـــر البعيـــدة القعر. وقيل: الواسعة الرأس الضيقة الأسفل. المعنى: إنك لو ناديتنى وأمامى أرض بعيدة الأطـــراف واســـعة الأرجاء ذات ماء بعيد الغور لأجبتك إجابة بعد إجابة، يريد أنه لا تعوقه عن إجابته صعاب ولا شدائد. الشاهد: فى "لبيه" حيث أضاف "لبى" إلى ضمير الغائب. وذلك شاذ والحكم أن يضاف إلى ضمير المخاطـــب. توضـــيح المقاصد والمسالك ٢٦١/٢، ابن عقيل ٤٠/١، الأشمونى ٣١٣/٢، الهمع ١٩٠/١.

[٢] توضيح المقاصد والمسالك ٢٦١/٢، ٢٦٢.

[٣] الارتشاف ٢٠٩/٢.

[٤] الهمع ١٩٠/١.

[٥] هذه الأبيات من الرجز المشطور، ولا يعلم قائلها.

ومعنى الأبيات: يقول لمن يخاطبه: إننى لا أتأخر عن إجابة دعوتك، ولا تمنعنـــى العراقيـــل مهما عظمت عن تلبية ندائك، فلو كان بينى وبينك بئراً عميقة، وأرضاً فسيحة الأرجاء ممتدة الأطراف، لكنت مسرعاً إلى إجابة دعوتك وقد مضى بيان الشاهد ص٨.

وكان مقتضى الظاهر أن يقول: "لبيك" ولكنه التفت من الخطاب إلى الغيبة مثل:((حتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وجرَيْنَ بِهِمْ[١]...))[٢].

ومن الشاذ الذى لا يقاس عليه إضافة إحدى الكلمات السابقة وأشباهها إلى ضمير غير ضمير المخاطب، أو إلى اسم ظاهر، كالقليل الوارد فى "لبيك"، فقد سمع فيها: " لبيه لمن يدعونى" بالإضافة لضمير الغائب، كما سمع فيها الإضافة إلى اسم ظاهر فى قول أعرابى استعان بآخر اسمه: "مسور" فى دفع غرامة فادحة، فأعانه، فأراد الأعرابى المستعين أن يجزيه خيراً على صنيعه؛ فوعد بتلبية "يدى مسور إذا دعاه لأمر مهم.

دعوت لما نابنى مسوراً ∴ فلبى[٣]. فلبى يدى مسور[٤]

فالمضاف هنا هو كلمة: "لبى" الثانية، والمضاف إليه اسم ظاهر، هو كلمة:"يدى" المثناة. واصلها: " يدين" وحذفت النون للإضافة، وخص "اليدين" بالذكر لأنهما اللتان قدمتا المال والمعونة للمستعين، وبهما يكون إنجاز الأمور.

وقول الآخر:

لبى نداك. لقد نادى فأسمعنى ∴ يفديك –من رجل– صحبى وأفريكا[٥]

****

---

[١] من الآية ٢٢ من سورة يونس. فالتفت من الخطاب فى "كنتم" إلى الغيبة فى "بهم".

[٢] شرح التصريح ١٤٧/٣، وأوضح المسالك ١٢١/٣: ١٢٤.

[٣] مفعول هذا الفعل محذوف، والتقدير: فلبانى، أو: فلبى ندائى.

[٤] فتلبية بعد تلبية ليدى مسور، أبادر إليه إذا ناداتى كما بادر إلى.

[٥] فكلمة "لبى" مفعول مطلق، مضاف لاسم ظاهر.

٥ـ الخلاف فى الكاف التى تتصل هذه المصادر

الخلاف فى الكاف التى تتصل بالمصادر السابقة:

اختلف العلماء فى الكاف التى فى "لبيك وأخواته": فهذه المصادر لا تكون إلا مضافة، وإذا ورد منها شئ غير مضاف تصرف فيه كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى "حنانيك" ولا تضاف إلا إلى ضمير المخاطب، وهذه المصادر تعرب مفعولاً مطلقاً بفعل محذوف من لفظها أو من معناها.

فذهب بعض العلماء إلى أنها فى "لبيك وحنانيك" فى موضع المفعول، وفى "هذاذيك ودواليك" فى موضع الفاعل، فيكون لها محل من الإعراب، وذهب الأعلم إلى أنها حرف خطاب لا محل له من الأعراب..

قال السيوطى: " والكاف فى نحو: "لبيك، وسعديك، وحنانيك. الواقع موقع الفعل الذى هو خبر فى موضع المفعول؛ لأن المعنى لزوماً وانقياداً لإجابتك، ومساعدة لما تحبه، ومعنى قولهم: سبحان الله وحنانيه: اسبحه وأسترحمه، والكاف فى نحو: هذاذيك، ودواليك، وحنانيك" اذا وقعت موقع الطلب فى موضع الفاعل كأنه قال: هذك ومداولتك وتحننك.

وزعم الأعلم: أن الكاف حرف خطاب، لا موضع لها من الإعراب كهى فى أبصرك، والنجاءك[1]، ونحو ذلك، وحذفت النون لشبه الإضافة، ولأن الكاف تطلب الاتصال بالاسم كاتصالها باسم الإشارة، والنون تمنعها من ذلك، فحذفت. ورد بأن وقوع الاسم الظاهر، وضمير الغائب موضع الكاف يبطل كونها حرفاً، وسمع مفرد "لبيك" "لب" بالكسر، وهو مصدر، بمعنى إجابة منصوب مبنى كأمس وغاق؛ لقلة تمكنه، كذا نص عليه سيبويه. ورد به أبو حيان على ابن مالك حيث قال: إنه اسم فعل بمعنى أجبت.."[2].

---

[1] والنجاءك: مصدر نجوت نجاءً. ثم استعمل اسم فعل للأمر منه. ولا تصح أن تكون الكاف ضمير خطاب؛ لأنه لا يجتمع مع الألف واللام فى الإضافة.

[2] الهمع ١٨٩/١، ١٩٠، وينظر: الارتشاف ٢٠٩/٢، ٢١٠، توضيح المقاصد والمسالك للمرادى ٢٥٩/٣، ٢٦٠.

وقال الأشمونى: " وزعم الأعلم أن الكاف حرف خطاب لا موضع لها من الإعراب، مثلها فى "ذلك". ورد عليه بقولهم: لبيه، ولبى يدى مسور" وبحذفهم النون لأجلها، ولم يحذفوها فى "ذانك" وبأنها لا تلحق الأسماء التى لا تشبه الحرف...".

قال الصبان: "قوله: ورد عليه بقولهم ... إلخ" أى: لأن قيام ضمير الغيبة، والاسم الظاهر مقام الكاف يدل على اسميتها؛ لأن الاسم إنما يقوم مقامه مثله. وأجاب فى التصريح عن هذا بأن "لبيه، ولبى يدى مسور" شاذان فلا يصلحان للرد. وعن الثانى: بأن النون يجوز حذفها لشبه الإضافة، كما صرح به الأعلم فى نفس المسألة، وكما فى اثنى عشر، وإنما لم يحذف من "ذانك" للإلباس.. "قوله لأجلها.." أى لأجل كاف الخطاب، وكذا الضمير فى قوله: لا تلحق الأسماء التى لا تشبه الحرف ..."[1].

****

[1] ينظر: الأشمونى بحاشية الصبان ٢/٢٥٣.

الخاتمة وتتضمن

٦- خلاصة موجزة لأهم النقاط التى تضمنها هذا البحث

خلاصة هذا البحث:

هذه إطلالة لأهم النقاط التى تضمنها هذا البحث، وتتلخص فيما يلى:-

١- ما يضاف إلى ضمير المخاطب "الكاف". وهى كلمات فى اللغة توصف بأنها مصادر مثناة فى اللفظ، ويراد بها التكثير والتكرار، وهى "لبيك وأخواته" فلبيك: معناها: إجابة بعد إجابة، وسعديك": إسعاداً لك بعد اسعاد، ولا تستعمل إلا بعد "لبيك". ومن ذلك ما جاء فى الأثر عمن يجمع من مال حرام أنه إذا قال: لبيك..." أجابه من السماء من يقول له " لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك..

"وحنانيك" معناها: حناناً منك بعد حنان، و"دواليك" ومعناها: مداولة منك بعد مداولة، و"هذاذيك" ومعناه: اسراعاً بعد اسراع.. وهجاجيك: على تقدير الاثنين أى الكف عن يمينه وشماله، وحذاريك: أى: ليكن منك حذراً بعد حذر، أى احذر أبدا، وحجازيك: أى: احجز بينهم حجزاً بعد حجز، وحواليك: أى الإحاطة من كل جهة، وخباليك: أى من الخبال، وخياليك: من الخيال إلى آخر المعانى التى تضمنتها هذه المصادر.

٢- ألفاظ يراد بها التكثير: ذهب الخليل وسيبويه إلى أن "لبيك وأخواته" ألفاظ مثناة وهى منصوبة على المفعولية المطلقة... أما يونس بن حبيب فذهب إلى أنها ألفاظ مفردة مقصورة، ووجه قوله: أن المصادر يقل فيها التثنية والجمع. وأيد سيبويه قول الخليل. واختار ابن عقيل مذهب سيبويه.

٣- وهذا المثنى كله غير متصرف: أى إنه لا يكون إلا مصدراً منصوباً أو اسماً فى موضع الحال، وإنما لم يتمكن؛ لأنه دخله بالتثنية لفظاً معنى التكثير، ودخل هذا اللفظ لهذا المعنى فى موضع المصدر فقط فلم يتصرفوا فيه. وقد يفرد أحدهما فيتصرف مثل قوله تعالى: ((وحَناناً مِنْ لَدُنَّا..)) فلفظ التثنية يراد به الجماعة، والآخر: لفظ الإضافة لمعنى الجنس، والتثنية أيضا تكون للمبالغة والتكثير والتوكيد...

٤- واختلف فى هذه التثنية: فالجمهور على أن هذه تثنية يراد بها التكثير ومداولة الفعل لا شفع الواحد. وذهب بعض النحاة إلى أنها تثنية تشفع الواحد. وقال هذا السهيلى فى "حنانيك" خاصة قال المراد: رحمة فى الدنيا، ورحمة فى الآخرة. ورد بأن من العرب من استعمله وهو لا يعتقد الآخرة وهو طرفة بن العبد فى البيت:

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

٥- حكى سيبويه عن بعض العرب "لب" على أنه مفرد "لبيك" غير أنه مبنى على الكسر لقلة تمكنه فيجريه مجرى أمس وغاق، ولكن موضعه نصب أى جعلوه اسم فعل. وقال بهذا الرأى ابن مالك: حيث ذهب إلى أن لبيك "اسم فعل بمعنى اجبت. ولكن رده أبوحيان فقال: وزعم ابن مالك أنه اسم فعل فاسد للإضافة فى قوله:

دعونى فيالبى إذا هدرت لهم..

أى لكى يؤيد قوله بأن "لبيك" اسم فعل بمعنى أجبت ذهب إلى القول بشذوذ إضافة لبيك إلى الضمير الغائب والاسم الظاهر. لكن رد عليه أبو حيان بأن سيبويه قال فى كتابه" لبى زيد، وسعدى زيد فساق ذلك مساق المنقاس المطرد.

٦- حكم إضافة هذه المصادر: " النحاة مجمعون على القول بشذوذ إضافة لبيك وأخواته" إلى الظاهر أو إلى ضمير الغيبة. وكلها تلازم الإضافة إلى ضمير المخاطب "كاف الخطاب" وأجاز ذلك أبو حيان فقال: ويضاف إلى الظاهر تقول: لبى زيد وسعدى زيد" وإلى ضمير الغائب، فقالوا: لبيه، ودعوى الشذوذ فيهما باطلة، ورد دعوى القول بالشذوذ بأن سيبويه قال فى كتابه "يقال لبى زيد، وسعدى زيد، وقلت: لبيه لمن يدعونى" فساق ذلك مساق المنقاس المطرد..

٧- الخلاف فى إعراب هذه المصادر: ذهب الجمهور إلى أن "دواليك" و"هذاذيك" كل منهما يعرب مفعولاً مطلقاً فقط. وهو الأحسن" ولم يجيزوا غير هذا الوجه من الأعراب فى هاتين الكلمتين... وذهب سيبويه إلى تجويز وجهين من

الأعراب فى كل كلمة منهما: الأول: أن تكون مفعولاً مطلقاً كما قال الجمهور. والوجه الثانى: أن تكون حالاً على التأويل بالمشتق. وقد رده ابن هشام بأمرين: الأول: أن يقع الحال معرفة؛ لأنه مضاف لضمير المخاطب، والإضافة تفيد التعريف. والثانى: أنه يلزم وقوع المصدرالدال على تكرار الحدث حالاً والمحفوظ وقوعه مفعولاً مطلقاً. ولأن الحال واجبة التنكير. وجوابه أنه مؤول بنكرة.

٨- جوز الأعلم الشنتمرى فى "هذاذيك" الوصفية فى قول الشاعر: ضرباً هذاذيك وطعناً وخنساً

أى قال "هذاذيك" صفة "لضربا" لأنه لا يقول بأن الكاف اسم مضاف اليه؛ بل حرف خطاب لا موضع له من الإعراب. لكن رد هذا الرأى بان "ضرباً" نكرة فلا يوصف بالمعرفة؛ ولأن المصدر الموضوع للتكثير لم يثبت فيه غير كونه مفعولاً مطلقاً. ورد بإضافة المصدر إلى الاسم الظاهر وضمير الغيبة فتعين أن تكون الكاف اسماً. وقول أبى حيان فى الارتشاف: ودعوى الشذوذ فيهما باطلة. ضعيف.

٩- الناصب لهذه المصادر فعل واجب الإضمار، ويقدر فى "لبيك ومذاذيك" من معناهما، وعامل البواقى من ألفاظها.

١٠-هذه المصادر لا تكون إلا مضافة، وإذا ورد منها شئ غير مضاف تصرف فيه ... ولا تضاف إلا إلى كاف الخطاب. وهذه الكاف اختلف فيها: فذهب بعضهم إلى أنها فى "لبيك وحنانيك" فى موضع المفعول، وفى هذاذيك ودواليك" فى موضع الفاعل؛ فيكون لها محل من الإعراب عند الجمهور. وذهب الأعلم إلى أنها حرف خطاب لا محل لها من الإعراب..

المصادر والمراجع

١- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى. تحقيق الدكتور: مصطفى أحمد النماس.

٢- الأمالى للمرتضى. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. طبع عيسى الحلبى- القاهرة ١٩٥٣هـ.

٣- إيضاح شواهد الإيضاح للقيسى. تحقيق الدكتور: محمد ابن حمود الدعجانى. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م. دار الغرب الاسلامى. بيروت- لبنان.

٤- التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهرى. تحقيق الدكتور: عبد الفتاح بحيرى إبراهيم. الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٥- أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك لابن هشام. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. دار الفكر- الطبعة السادسة ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٦-تهذيب اللغة للأزهرى. طبع الدار المصرية للتأليف بالقاهرة.

٧- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادى. تحقيق الدكتور: عبد الرحمن على سليمان- مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة. الثانية.

٨- جمهرة اللغة لابن دريد - الهند ١٣٤٤هـ.

٩- حاشية الأمير على مغنى اللبيب. دار إحياء الكتب العربية. عيسى الحلبى.

١٠- حاشية الخضرى على ابن عقيل على ألفية ابن مالك.

١١- حاشية الصبان على شرح الأشمونى. دار إحياء الكتب العربية. عيسى الحلبى.

١٢- خزانة الأدب ولب لباب العرب لعبد القادر البغدادى- الطبعة الأولى ببولاق ١٢٢٩هـ.

١٣- الخصائص لابن جنى تحقيق: محمد على النجار- مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ - ١٩٥٦م.

١٤- الدرر اللوامع للشنقيطى- مصورة عن طبعة الجمالية- القاهرة ١٣٢٨هـ.

١٥-ديوان سحيم تحقيق: الميمنى- دار الكتب المصرية١٩٥٠م.

١٦- ديوان طرفة بن العبد، بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطى١٩٠٩م.
١٧- ديوان عامر بن الطفيل تحقيق: شارل ليال. لندن١٩١٣م.
١٨- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك بحاشية الصبان. دار إحياء الكتب العربية. عيسى الحلبى.
١٩- شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم. تحقيق الدكتور: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد-دار الجيل بيروت- لبنان
٢٠- شرح التسهيل لابن مالك- تحقيق الدكتور: عبد الرحمن السيد، والدكتور: محمد بدوى المختون- الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٢١- شرح ديوان العجاج. تحقيق: عزة محمد حسن، دار الشروق- بيروت ١٩٧١م.
٢٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٢٣-شرح شواهد المغنى للسيوطى- البهيته ١٣٢٢هـ.
٢٤- شرح الكافية للرضى- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الثالثة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٢٥- شرح المفصل لابن يعيش- مكتبة المتنبى- القاهرة.
٢٦- الصحاح للجوهرى. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا- دار العلم للملايين- الثالثة ١٤٠٤هـ.
٢٧- الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى تحقيق الأستاذين: على محمد البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابى الحلبى.
٢٨- الكامل فى اللغة والأدب للمبرد، تحقيق: تغاريد بيضون، ونعيم زرزور- دار إحياء الكتب العلمية- بيروت ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
٢٩- الكتاب لسيبويه. تحقيق: عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجى- القاهرة- الثالثة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٠- كتاب الإبدال لابن السكيت. تحقيق الدكتور: حسين محمد شرف - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٣١- كتاب الشعر لأبى على الفارسى.تحقيق: الدكتور: محمود محمد الطناحى- مكتبة الخانجى- بالقاهرة- طبعة أولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٢- كتاب شرح أبيات سيبويه لأبى جعفر النحاسى. تحقيق الدكتور: زهير غازى زاهد- مكتبة النهضة العربية- عالم الكتب. الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٣- الكشاف للزمخشرى- طبعة دار المعرفة.

٣٤- لسان العرب لأبى الفضل جمال الدين بن منظور. طبعة دار المعارف- بالقاهرة.

٣٥- مجمع الأمثال للميدانى. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد- طبعة دار المعرفة- بيروت- لبنان.

٣٦- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جنى. تحقيق: على النجدى ناصف. لجنة إحياء التراث بالقاهرة ١٣٨٦هـ.

٣٧- المخصص لابن سيده- المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر- بيروت ذخائر التراث العربى.

٣٨- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للعلامة السيوطى تحقيق: محمد جاد المولى بك- محمد أبو الفضل إبراهيم- على محمد البجاوى. المكتبة العصرية- صيدا- بيروت١٩٨٦م.

٣٩- المسائل الحلبيات لأبى على الفارسى تحقيق الدكتور: حسن هنداوى- الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م- دار القلم للطباعة والنشر بدمشق.

٤٠- المستقصى فى أمثال العرب للزمخشرى. طبعة دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ١٣٩٧م.

٤١- مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد- مكتبة محمد على صبيح وأولاده- القاهرة.

٤٢- المنصف لابن جنى تحقيق الأستاذين: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين. ط عيسى البابى الحلبى- الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ.

٤٣- النهاية فى غريب الحديث والأثر. لابن الأثير. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى. الأجزاء الثلاثة. الأولى: تحقيق الأستاذين: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحى، والرابع والخامس تحقيق: محمود الطناحى.

٤٤- همع الهوامع للسيوطى- نشر مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة- الطبعة الأولى ١٣٢٧- محمد الخانجى الكتبى وشركاه بمصر.

الاستعارة اللفظية

عند

الشيخ عبد القاهر الجرجاني

إعداد الدكتور

محمد سيد سلطان

المدرس بقسم البلاغة والنقد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام عبى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

وبعد،،،

فهذا بحث متواضع عن الاستعارة اللفظية أو ما اصطلح على تسميتها بالاستعارة غير المفيدة، عند الإمام عبد القاهر الجرجانى.

وهو موضوع لم ينل حظه من الدراسة والبحث، فأردت أن أجمع هذا الموضوع قبل الإمام عبد القاهر الجرجانى.

ثم كان للبحث وقفات مع الإمام عبد القاهر فى دراسته لهذا النوع من الاستعارة، يتبين منها تميز دراسة الإمام عن دراسة من قبله من العلماء.

ثم كان الحديث عن إسهامات علماء البلاغة بعد عصر الإمام، فكان حديث السكاكى وشراح التلخيص، والذى لم يضف جديداً إلى ما أضافه الإمام.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله صحبه وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

تمهيد:

المجاز ضربان: مرسل واستعارة، لأن العلاقة المصححة إن كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة وإلا فهو مرسل.

فالاستعارة هى النوع الآخر من المجاز الذى تقوم العلاقة فيه بين المعنى الاول للكلمة ومعناها الثانى على المشابهة[١].

وأود من البداية أن أسوق ملاحظة عابرة تتصل بتعريف الاستعارة عند البلاغيين والنقاد العرب الذين سبقوا الإمام عبد القاهر الجرجانى.

فالقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى المتوفى (٣٦٦هـ) يقول: "وإنما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت فى مكان غيرها"[٢]، ويقول الرمانى المتوفى (٣٨٦هـ): "إنها تعليق على غير ما وضعت له فى أصل اللغة على جهة النقل للإبانة".[٣]

ويقول أبو هلال العسكرى المتوفى (٣٩٥هـ): "الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها فى أصل اللغة إلى غيره لغرض"[٤]

وجوهر الملاحظة أن كلمة النقل ترددت عندهم جميعاً، كما ترددت عند سابقيهم ممن لم تذكر أسماؤهم، يدلنا على ذلك ما صرح به الإمام عبد القاهر الجرجانى حين قال: " واعلم أنه كثر فى كلام الناس استعمال لفظ النقل فى

---

[١] **الايضاح: جـ٤/١٧،١٨. ت.م د./ خفاجى – ط ثانية- نشر مكتبة الكليات الأزهرية بلا تاريخ.**

[٢] **الوساطة بين المتنبى وخصومه، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلى محمد البيجاوى ص٤١.**

[٣] **النكت فى إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل ص٨٥، ت أ/ محمد خلف الله، د/محمد زغلول سلام، ط دار المعارف بمصر ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م، ط ثانية.**

[٤] **كتاب الصناعتين ص ٢٩٥، ت/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت- ط ثانية ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.**

الاستعارة ..." وإن كان قد اكتفى بذكر تعريف الرماني، وتعريف القاضي الجرجاني[١].

وهكذا نرى أن استخدام كلمة "النقل" فى تعريف الاستعارة عند من أشار إليهم الإمام عبد القاهر –رحمه الله تعالى– كان موضع اعتراض ومناقشة مستفيضة من جانب الإمام، فقد رأى إن إطلاقهم فى الاستعارة "أنها نقل للعبارة عما وضعت له " يوهم الخطأ، لأن النقل بهذه الصورة يعنى إفراغ الكلمة تماماً من معناها ونقلها لمعنى آخر، وذلك غير صحيح، لأننا لا نطلق كلمة "الأسد" مثلاً على شخص معين إلا بإعتبار ما يتصف به من الشجاعة الفائقة التى يكاد يلحق فيها بجنس الأسود، ويدعى أنه واحد منها، فالمعنى الحقيقى للكلمة إذن موضوع فى الاعتبار، وبهذا لا يكون النقل للكلمة من معناها الأصلى إلى غيره نقلاً حقيقياً، لكن يستحيل من جهة أخرى أن تنقل اللفظ عن معناه مع إرادة معناه[٢].

ويؤكد الإمام رأيه بأنه من أنواع الاستعارة ما لا يتصور فيه تقدير النقل البتة، وهى الاستعارة المكنية، وذلك كنسبة اليد للشمال فى قول لبيد:

وغداة ريح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها
بصبوح صافية وجذب كرينة بموتر تأتاله إبهامها[٣]

---

[١] دلائل الإعجاز ص ٤٣٤ ت أ/ محمود شاكر.

[٢] نص عبارة الإمام: " ومن شأن ما غمض من المعانى ولطف، ان يصعب تصويره على الوجه الذى هو عليه لعامة الناس، فيقع لذلك فى العبارات التى يعبر بها عنه، ما يوهم الخطأ، وإطلاقهم فى الاستعارة أنها تنقل للعبارة عما وضعت له" من ذلك فلا يصح الأخذ به. وذلك أنك إذا كنت لا تطلق اسم "الأسد" على " الرجل" إلا من بعد أن تدخله فى جنس الأسود من الجهة التى بينا لم تكن نقلت الاسم عما وضع له بالحقيقة، لأنك إنما تكون ناقلاً، إذا أنت أخرجت معناه الأصلى من أن يكون مقصودك ونفضت به يدك، فإما أن تكون ناقلاً له عن معناه، مع إرادة معناه فمحال متناقض" – دلائل الإعجاز ص ٤٣٥.

[٣] الغداة: البكرة والصباح، القرة: البرد، الشمال: أبرد الرياح، الصبوح: اسم للخمر، الكرينة: المغنية الضاربة بالعود، الموتر: عود عليه أوتار، تأتاله: أى تفتعله من آل يؤول، ومعناه: تصلحه وتهيئه وتسوسه، والمعنى: أن البرد فيها شديد وأن الشمال الغالبة فكأنها بمنزلة من يقودها.

فلا خلاف من أن اليد استعارة لكن لا يمكن القول بان لفظ اليد قد نقل عن شئ إلى شئ؛ لأن هذا النقل كان يسوغ لو أن المعنى على تشبيه هذا الشئ باليد، فيقال حينئذ: إنه نقل لفظ اليد إليه، وإنما المعنى على أنه أراد أن يثبت للشمال تأثيراً قوياً فى الغداة وتصرفاً شبيهاً يتصرف الإنسان فى الشئ الذى يمسكه بيده فهو يقلبه كيفما يشاء، فلما أثبت لها مثل فعل الإنسان بالبد استعار لها اليد، وكما لا يمكنك تقدير النقل فى لفظ اليد كذلك لا يمكنك أن تجعل الاستعارة فيه من صفة اللفظ، ألا ترى أنه محال أن نقول إنه استعار لفظ "اليد" للشمال[١]

ومثله أيضا قول المتنبى فى وصف جيش:

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفى أذن الجوزاء منه زمازم

فإنه لما جعل الجوزاء ، بالغ فى ذلك، وأثبت لها الأذن التى يكون بها السمع من الإنسان، ولا نستطيع أن نزعم أن المتنبى قد استعار لفظ "الأذن"، لأنه يوجب أن يكون فى الجوزاء شئ قد أراد تشبيهه بالأذن، وذلك من شنيع المحال.

ويخلص الإمام من ذلك إلى أن الاستعارة إنما هى إدعاء معنى الاسم للشئ، لا نقل الاسم عن الشئ، ونقل لها عما وضعت له "فيه تسامح، لأنه إذا كانت الاستعارة ادعاء فمعنى الاسم لم يكن مزالاً عما وضع له، بل مقرأ عليه"[٢].

وقد انعكس إدراك الإمام عبد القاهر للنقل بهذا المعنى على تحديده للاستعارة فوصفه بأنه نقل غير لازم.

فيقول: " اعلم أن الاستعارة فى الجملة أن يكون للفظ أصل فى الوضع اللغوى معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر فى غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية"[٣].

---

[١] ينظر: الأسرار ص ٤٥، ٤٦، والدلائل ص ٤٣٥، ٤٣٦.

[٢] ينظر: دلائل الإعجاز ص ٤٣٥، وما بعدها.

[٣] أسرار البلاغة ص٣٠

ويغلب على الظن أن البلاغيين الذين أتوا بعده أخذوا باعتراضه، فآثروا السلامة وتجنبوا التعبير بالنقل فى تعريفاتهم للاستعارة.

بيد أنه ينبغى أن يكون واضحاً فى الأذهان أن الإمام كان متأثراً فى مناقشته بنظريته فى النظم التى مؤداها أن النظم أو التأليف يكون للمعانى فى المقام الأول، فقد كان حريصاً على تجلية هذه الفكرة بتقديم مختلف الأدلة والبراهين المؤيدة لها من جهة أخرى، ومن هنا كان تحفظه وتفسيره لكلام سابقيه.

وإذا سلمنا بأن الاستعارة -بحكم أنها مجاز- تتضمن نقلاً للكلمة من مجال إلى مجال فإننا بحاجة إلى الوقوف أمام نوع من الاستعارات يبدو أن النقل فيما لا يعدو أن يكون وضع لفظ فى مكان آخر. وتبعاً لذلك أطلق عليه الإمام عبد القاهر اسم " الاستعارة غير المفيدة".

مفهوم الاستعارة غير المفيدة:

شاع فى العرف اللغوى تسمية العضو الواحد بأسماء كثيرة طبقاً لاختلاف انواع الحيوان، فمثلاً نطلق "الشفة" على ذلك العضو المعروف من الإنسان، على حين يسمى هذا العضو نفسه فى البعير باسم "المشفر"، وفى الخيل والبغال باسم "الجحفلة".

فإذا استعمل الشاعر أو غيره اسماً من هذه الأسماء فى غير النوع الذى اختصت به فى العرف اللغوى فإن ذلك يعد من قبيل الاستعارة، لكنها استعارة غير مفيدة فى رأى الإمام عبد القاهر؛ لأن الاسم المنقول لا يأتى بجديد نفتقده فى الاسم الأصلى، بل إنه على العكس يفوت معنى التخصيص الذى يسير عليه النظام اللغوى.[١]

وعلى هدى ما سبق يمكن استخلاص تعريف "الاستعارة غير المفيدة" عند الإمام بأنها: " استعمال الشاعر أو غيره اسماً من الأسماء الموضوع لنوع ما على خلاف ما اختص به هذا النوع فى العرف اللغوى من غير قصد إلى التشبيه أو المبالغة فى هذا الاستعمال.

---

[١] ينظر: المرجع نفسه ص٣٠.

الفصل الأول

الاستعارة غير المفيدة قبل الإمام عبد القاهر

سوف أعرض فى هذا الفصل لأمثلة الاستعارة غير المفيدة كما وردت فى كتب المتقدمين من الأدباء والنقاد القدامى الذين سبقوا الإمام عبد القاهر الجرجانى كابن قتيبة، وقدامة، والآمدى، وأبى هلال العسكرى؛ تمهيداً للوصول إلى ما أنا بصدد البحث عنه.

ولنبدأ بالحديث عنها عند ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ:

لقد تحدث ابن قتيبة عن الاستعارة فى سياق حديثه عن المشكل من آيات القرآن الكريم وألفاظه، وذلك لأنه وجد من الفاظه ما أشكل على المفسرين، فأوله ووضحه وبين السبب فى إشكاله، فأماط اللثام عن التكرار والتوكيد، والالتفات والمجاز فى القرآن، وكان من بين الألفاظ التى أشكلت على المفسرين فى القرآن الكريم ألفاظ استعملت فى غير ما وضعت له فى أصل اللغة فسماها وعلل السبب فى ورودها، فقال: " فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاورا لها، أو مشاكلاً، فيقولون للنبات: نوء، لأنه يكون عن النوء عندهم، قال رؤبة بن العجاج:

وجف أنواء السحاب المرتزق

أى: جف البقل[١].

وتحت التأثير بالدفاع عما ورد فى القرآن الكريم من استعارت قبل ابن قتيبة صوراً من الاستعارة التى عرفت فيما بعد بالاستعارة غير المفيدة

فتراه يقول وهو يسرد الآيات المشتملة على الاستعارة: ومنه قوله سبحانه ((وعلى الّذين هادُوا حرّمْنَا كُلّ ذِي ظُفُرٍ))[٢]

---

[١] تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٣٥. ت/ السيد أحمد صقر، ط المكتبة العلمية، بدون تاريخ.

[٢] الأنعام: ١٤٦.

أى: كل ذى مخلب من الطير، وكل ذى حافر من الدواب. كذلك قال المفسرون وقال الزمخشرى: "ذو الظفر ما له إصبع من دابة أوطائر"[١]

وسمى الحافر ظفراً على الاستعارة، كما قال "الآخر"[٢]. وذكر ضيفاً طرقه:

وما رقد الولدان حتى رأيته ∴ على البكر يمريه بساق وحافر

فجعل الحافر موضع القدم.

وقال آخر[٣]:

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها ∴ إلى ملك أظلافه لم تشقق

يريد بالأظلاف: قدميه، وإنما الأظلاف للشاء والبقر.

والعرب تقول للرجل: " هو غليظ المشافر "تريد: الشفتين، والمشافر للإبل، وقال حطيئة[٤]:

قرو جارك العيمان لما جفونه ∴ وقلص عن برد الشراب مشافره[٥]

---

[١] وقال الشيخ الطاهر بن عاشور "الظفر: العظم الذى تحت الجلد فى منتهى أصابع الإنسان والحيوان والمخالب وهو يقابل الحافر والظلف ويكون للإبل والسبع والكلب والهر والأرنب والوبر ونحوها- الكشاف ٢/٧٥ - نشر دار الريان للتراث ط٣، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م- والتحرير والتنوير/ للطاهر بن عاشور ١٤٢/٨، ط الدار التونسية.

[٢] هو جبيهاء الشجعى يصف ضيفاً طارقاً أسرع إليه، ومعنى يمريه: يستخرج ما عنده من الجرى، والحافر: واحد حوافر الدابة، وقد استعاره الشاعر فى القدم، والبيت من قصيدة طويلة فى ملحق حماسة ابن الشجرى ص٢٨٥-٢٨٩، ط حيدر آباد ١٣٤٥هـ.

[٣] هو عقفان بن قيس بن عاصم بن عبيد اليربوعى، جاهلى، والملك هو النعمان بن المنذر، أراد بقوله "أظلافه لم تشقق": أنه منتعل مترفه فلم تشقق قدماه. الجمهرة ٣/٤٩٠، ط حيدر آباد ١٣١٥هـ، اللسان ١١/١٣٤.

[٤] ديوان الحطيئة ص١٢، ط التقدم ١٣٢٥هـ، فإن السكرى فى شرحه: " لما لم يقدروا على شرب الماء من شدة البرد قروا سناماً ولبناً محضاً، إشارة إلى البيت الذى بعده وهو قوله:

سناماً ومحضاً أنبت اللحم فألست عظام امرئ ما كان يشبع طائره

يقولون: لو وقع عليه طائر ما شبع من لحمه من شدة هزله، والعيمة: شهوة اللبن والعطش الجمهرة ٣/٣٩٠، عيار الشعر ١٠٣، والموشح ٩١، والصناعتين ٣٣٢.

[٥] مشكل القرآن ١٥٤.

وكل هذه الاستعارات استنكرت بعد ابن قتيبة، واعتبرت عيوباً فى شعر قائلها كما سنجد ذلك عند قدامة بن جعفر والآمدى وأبى هلال.

ولكن حاول الإمام عبد القاهر – وحده – الدفاع عنها بإدخالها فى باب "الاستعارة المفيدة" إذا كانت تستعمل فى الهجاء وقصد بها التشبيه كما سنتناول ذلك عند الحديث عنها فى موضعها إن شاء الله تعالى.

الاستعارة غير المفيدة عند قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧هـ:

تحدث قدامة بن جعفر عن الاستعارة بنوعيها تحت باب "المعاظلة" فقال: ومن عيوب اللفظ: المعاظلة.

وهى التى وصف عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته لها أيضاً، حيث قال: " وكان لا يعاظل بين الكلام"، وسألت أحمد بن يحيى عن المعاظلة فقال: مداخلة الشئ، يقال: تعاظلت الجرادتان، وعاظل الرجل المرأة إذا ركب أحدهما الآخر، وإذا كان الأمر كذلك فمن المحال أن تنكر مداخلة الكلام بعض الكلام فى ما يشبهه من وجه، أو فيما كان من جنسه، وبقى النكير إنما هو فى أن يدخل بعضه فى ما ليس من جنسه، وما هو غير لائق به، وما أعرف ذلك، إلا فاحش الاستعارة.

مثل قول أوس[١]:

وذات هدم عار نواشرها ∴ تصمت بالماء تولباً جدعاً

فسمى الصبى تولباً، وهو ولد الحمار.

ومثل قول الآخر[٢]:

وما رقد الولدان حتى رأيته ∴ على البكر يمريه بساق وحافر

---

[١] هو أوس بن حجر، شاعر جاهلى مجيد والبيت من قصيدة يرثى فيها فضالة بن كلدة الأسدى، وذات هدم: أى خلق بالية، عار نواشرها: أذرعها عارية، جدعاً: أى سئ الغذاء، ينظر: نقد الشعر ص ١١٩، ت د/خفاجى. ط مكتبة الكليات الآزهرية، ط أولى ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

[٢] سبق تحقيق البيت وشرحه.

فسمى رجل الإنسان حلفراً فإن ما جرى هذا المجرى من الاستعارة قبيح لا عذر فيه.

وقد استعمل كثير من الشعراء انفحول المجيدين أشياء من الاستعارة ليس فيها شناعة كهذه وفيها لهم معاذير إذا كان مخرجها مخرج التشبيه[١].

والظاهر من كلام قدامة أنه جانبه الصواب في نطق معنى المعاظلة -وهو ركوب الأشياء بعضها بعضاً- على فاحش الاستعارة، كتسمية بعض الشعراء رجل الإنسان "حلفراً" وليس هذا بمعاظلة.

ومن ثم رد النقاد عليه كلامه، وما ذهب إليه، فترى ابن سنان الخفاجي يقول: " ومن وضع الألفاظ موضعها اللائق بها ألا يكون الكلام شديد المداخلة يركب بعضه بعضاً وهذا هو المعاظلة التي وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه زهيراً بتجنبها فقال: " كان لا يعاظل بين الكلام"، لأن المعاظلة: المداخلة، ومن ذلك يقال: "تعاظلت الكلاب" وغيرها مما يتعلق بعضه ببعض عند السفاد وقد غلط في تمثيل هذا أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب، وبين خطأه فيه أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي -رحمه الله تعالى- لأن أبا الفرج قال: إن المداخلة التي تكره، ووصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه زهيراً بتجنبها: أن يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه، قال: وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة، مثل قول أوس بن حجر:

وذات هدم عار نواشرها ∴ تصمت بالماء تولباً جدعاً

فسمى الصبي تولباً والتولب: ولد الحمار.

ومثل قول الآخر:

وما رقد الولدان حتى رأيته ∴ على البكر يمريه بساق وحافر

فسمى رجل الإنسان حافراً. أ هـ

وهذا ليس في المعاظلة التي هي ركوب بعض الكلام بعضاً ومداخلة في بعض[٢].

---

(١) نقد الشعر ص ١٧٤، ١٧٥.

(٢) لأنه من قبيح الاستعارة، فهو يدخل في التعقيد المعنوي، والمعاظلة هي التعقيد اللفظي، وبينهما بون بعيد.

والصحيح من تمثيل ذلك ما ذكره أبو القاسم الآمدى، وهو قول أبى تمام:

خان الصفاء أخ خان الزمان أخا عنه فلم يتخون جسمه الكمد

لأن ألفاظ هذا البيت يتشبث بعضها ببعض، وتدخل الكلمة من أجل كلمة أخرى تجانسها وتشبهها، مثل: خان، وخان، ويتخون، وأخ، وأخا، فهذا هو حقيقة المعاظلة[١].

الاستعارة غير المفيدة عند الآمدى المتوفى سنة ٣٧٠هـ:

ذكر أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى فى الموازنة الأبيات التى مثل بها البلاغيون فيما بعد للاستعارة غير المفيدة عند حديثه عن المآخذ على الشعراء، فقال: وأخذ على الآخر قوله:

وما رقد الولدان حتى رأيته على البكر يمريه بساق وحافر

فسمى رجل الإنسان حافراً، وهذه استعارة فى نهاية القبح.

وكذلك قول الآخر:

قد أفنى أنامله عضه ∴ فأمسى يعض على الوظيفا[٢]

فجعل له وظيفا مكان الرجل.

وكذلك قول الآخر:

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها ∴ إلى ملك أظلافه لم تشقق

وقال الحطيئة:

قروا جارك العيمان لما جفوته ∴ وقلص عن برد الشراب مشافره[٣]

---

[١] سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ص ١٤٨، ١٤٩. ت الشيخ عبد المتعال الصعيدى. ط محمد على صبيح ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.

[٢] قاله صخر الغى كما فى ديوان الهذليين ٢/٧٣ "أفنى أنامله" أى: يعض على يديه من الغيظ، والوظيف: مستدق الذراع من الخيل والإبل ونحوهما.

[٣] الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى للآمدى ج١ ص٤٥، ٤٦، ت/السيد أحمد صقر، د الرابعة – دار المعارف.

وهكذا نرى الآمدى يعيب هذه الأساليب ويصفها بأنها من أقبح الاستعارات، بل هى فى نهاية القبح، ولعل العلة التى رآها الآمدى هى أن الاسم المنقول لا يأتى بجديد نفتقده فى الاسم الأصلى، بل إنه على العكس يفوت معنى التخصيص الذى يسير عليه النظام اللغوى، ولذا حكم عليها هذا الحكم والله أعلم بالصواب.

أمثلة الاستعارة غير المفيدة عند أبى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥هـ:

ونرى أبا هلال العسكرى يعيب- من بين ما يعيب من الاستعارات- الأبيات المشتملة على استعارات غير مفيدة، فيقول:

ومن ردئ الاستعارة ... قول الحطيئة:

قروا جارك العيمان لما جفوته ∴ وقلص عن برد الشراب مشافره

وقول الآخر:

وما رقد الولدان حتى رأيته ∴ على البكر يمريه بساق وحافر

وقول الآخر:

قد أفنى أنامله عضبه ∴ فأمسى يعض على الوظيفا

وإذا أريد بذلك الذم والهجاء كان أقرب إلى الصواب.

وأما القبيح الذى لا يشك فى قباحته ... فقول الآخر:

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها إلى ملك أظلافه لم تشقق[١]

وأبو هلال لا يذكر رداءة الاستعارة فى الأبيات الثلاثة التى ذكرها وإن كان العيب واضحاً، قد ذكره من سبقه من النقاد، كابن قتيبة، وقدامة، والآمدى .. ولكنه أشار إلى أمر جديد لم يسبق إليه، وهو أنه قال عن الأبيات الثلاثة: " وإذا أريد بذلك الذم والهجاء كان أقرب إلى الصواب"، وهذا ما ذهب إليه الإمام عبد القاهر فيما بعد، وراح يحلل الاستعارة فى قول الحطيئة: " سقو جارك ... إلى آخر البيت"، وقول جبيهاء الأسدى: " فما رقد الولدان ... إلخ" مشيراً إلى أنه ينبغى أن يستثنيا مما أسماه "الاستعارة المفيدة" لو ورد كل منهما فى مواطن الذم والعيب.

---

[١] **كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٣٣١، ٣٣٢، ت د/ مفيد قميحة، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.**

وكذلك قال عنه الإمام: " هو فى التشبيه والاستعارة، لأن المعنى على الأظلاف لمن يربأ بالملك عن مشابهته، كأنه قال: "أجعل امرها إلى ملك، لا إلى عبد جاف متشقق الأظلاف"[١].

هذا وقد ذهب أبو على إسماعيل بن القاسم القالى إلى اعتبار هذه الاستعارة من باب الاتساع فى أوضاع اللغة، فتراه يقول: " يقال: جثا، يجثو، وجذا يجذو، إذا قام على أطراف أربعة، وأنشد للنعمان بن نضلة:

إذا شئت غنتنى دهاقين مرية وصناجة تجذو على كل منسم

ثم قال أبو على: جعل للإنسان منسماً على الاتساع، وإنما المنسم للإبل. كمل قال الآخر:

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها إلى ملك أظلافه لم تشقق

فجعل للإنسان ظلفاً، وإنما الظلف للشاء والبقر"[٢].

مباحث الاستعارة غير المفيدة عند الإمام عبد القاهر:

تحدث الإمام عبد القاهر -رحمه الله تعالى- عن الاستعارة غير المفيدة موضحاً أنها تجرى بين الأسماء التى تتحد أجناس مسمياتها، كالشفة، والجحفلة، والمشفر، والقدم، والحافر، والأظلاف، والظافر، والتولب، والولد، وما شابه ذلك مما يكون منشؤه اختصاص الاسم بما وضع له عن طريق أريد به التوسع فى أوضاع اللغة، والتفوق فى مراعاة الدقائق، والفروق فى المعانى المدلول عليها، كوضعهم للعضو الواحد أسامى كثيرة بحسب اختلاف الحيوان، نحو: وضع الشفة للإنسان، والمشفر للبعير، والجحفلة للفرس[٣].

ثم مثل هذه الاستعارة بأمثلة منها قول العجاج:

وفاحماً ومرسنا مسرجاً[٤]

---

[١] ينظر: الأسرار ص ٣٧، ٣٨، ٣٩.

[٢] الأمالى فى لغة العرب ١٢١/٢، ط أولى، بالمطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢٤هـ

[٣] الأسرار ص ٣٠.

[٤] الفاحم: شعرها الأسود.

يعنى: أنفاً يبرق كالسراج، و"المرسن" فى الأصل للحيوان: لأنه الموضع الذى يقع عليه "الرسن"[١].

فالاستعارة فى لفظ "المرسن" وذلك لأنه موضوع فى أصل اللغة للحيوان، فاستعاره الشاعر لأنف محبوبته.

وقال آخر يصف إبلاً:

تسمع للماء كصوت المسحل

بين وريدها وبين الجحفل[٢]

فجعل للإبل "جحافل" وهى لذوات الحوافر.

فالاستعارة فى لفظ "الجحفل" الموضوع لذوات الحوافر، كالحمار والبغل، والفرس، ولكن الشاعر سمى مشفر البعير "جحفلاً"، واستعمله مكانه.

وقال آخر:

والحشو من حفانها كالحنظل[٣]

فأجرى "الحفان" على صغار الإبل، وهو موضوع لصغار النعام، يعنى أن الشاعر أطلق لفظ "الحفان" المختص بصغار النعام على صغار الإبل.

وقال آخر[٤]:

فبيتناجلوساً لدى مهرنا ∴ ننزع من شفتيه الصفارا

فاستعمل "الشفة" فى الفرس، وهى موضوعة للإنسان[٥].

---

(١) حبل الزمام، يوضع على الأنف.

(٢) البيت لأبى النجم العجلى فى ديوانه، والمسحل: حمار الوحش، سمى باسم سحيله وهو صوت نهاقه.

(٣) هو من لامية أبى النجم فى صفة الإبل، وحشو الإبل، وحاشيتها: صغارها.

(٤) هو من شعر أبى دؤاد الإيادى، يصف فرسا فى ديوانه، والصفار: يبيس البهمى، وهو من أمرار البقول، ترعاه الإبل، ويخرج لها إذا يبست شوك. إذا وقع فى أنوف الإبل والخيل، والغنم. انفت عنه حتى ينزعه الناس من أفواهها وأنوفها.

(٥) الأسرار: ٣١، ٣٢.

يعنى أن الشاعر هنا عبر عن جحفلة الفرس بالشفة: وهى اسم لنفس العضو عند الإنسان.

وهنا يمكن أن يقال: أى فائدة تغياها الشاعر فى صنيعه هذا؟

إنه كما يبدو لم يرد أكثر من الإشارة إلى هذا العضو، ولو أنه أشار إلى العضو باسمه ما نقص من قصده شئ، ولما فاته بذلك معنى.

موقف الشيخ من هذه الأبيات:

يقف الشيخ هنا وقفة الواعى الذى يستعمل حسه، وهو حس رقيق مرهف يكشف عن براعة وإدراك بصير.

إنه يقول عن هذا التصرف: " إنه نقص المعنى، ولم يزد فيه، ذلك لأن "شفة" يدل على أمرين: أحدهما ظاهر، والآخر يتوارى وراءه، ويبدو من ثنايا، فالأول هو ذلك العضو، والثانى صاحبه، فعندما نسمع -شفة- يحضر فى الذهن العضو المخصوص، ونعرف أنه من إنسان، وإذا سمعنا جحفلة- تصورنا ذات العضو المخصوص ونعرف أنه من فرس، ونفس الأمر بالنسبة للفظ - المشفر- فعندما يعدل الإنسان عن هذا ويستعمل أحد اللفظين مكان الآخر يضيع المقصد الثانى.

وبذا تكون الاستعارة هنا بأن تنقصك جزءاً من الفائدة أشبه.

فأى استعارة هذه؟

الاستعارة هى التى يربو بها المعنى وتتعدد فيها منافذ الشعور.

فلما عدمت ذلك، ولم يكن فيها أكثر من الإشارة إلى العضو المخصوص وتمييزه مما سواه حق لنا أن ننحيها عن الأولى أو نطلق عليها استعارة غير مفيدة، أو استعارة لفظية قد تختلط على بعض الأذهان بما يشبهها مما له قيمة تدخل به فى قبيل الاستعارة المعنوية المفيدة إذا لم نتريث لفهم السياق ونعرف مغزى الحديث[١].

---

[١] ينظر: أسرار البلاغة ص ٣٢، وسمات البلاغة عند الشيخ عبد القاهر: د/محمد جلال الذهبى ج٢/٩ - مطبعة الأمانة- القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

رد بعض الشواهد إلى الاستعارة المفيدة:

اعترف الإمام عبد القاهر لهذا اللون من الاستعارة بالمزية، والفضل، ولكنه قصره على ما يأتى من الكلام فى مواضع الذم والعيب. فيقول:

" فاعلم أنك قد تجد الشئ يخلط بالضرب الأول الذى هو استعارة من طريق اللفظ ويعد من قبيله، وهو إذا حققت ناظر إلى الضرب الآخر الذى هو مستعار من جهة المعنى، وجار فى سبيله، فمن ذلك قولهم: " إنه لغليظ الجحافل، وغليظ المشافر"، وذلك أنه كلام يصدر عنهم فى مواضع الذم، فصار بمنزلة أن يقال: كأن شفتيه فى الغلظ مشفر البعير وجحفلة الفرس. وعلى ذلك قول الفرزدق:

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتى ولكن زنجياً غليظ المشافر[١]

فهذا يتضمن معنى قولك: "ولكن زنجياً كأنه جمل لا يعرفنى، ولا يهتدى لشرفى".

وهكذا ينبغى أن يكون القول فى قولهم: " أنشب فيه مخالبه"، لأن المعنى على أن يجعل له فى التعلق بالشئ والاستيلاء عليه حالة كحالة الأسد مع فريسته، والبازى[٢] مع صيده".

إن هذا وإن تشابه -فى النظرة العجلى- مع ما سبق، فإنه عند التأمل يفيد معنى لا يتحقق بدونه، والشاعر ساقه ليتحقق من ورائه قصد عمد عليه، فالفرزدق كان يعانى حكماً بالحبس نفذه فيه أيوب بن عيسى الضبى، فالبيت نفثة مهموم قصد إلى أن يصور ذلك الذى وضع القيد فى يده، واقتاده إلى قيد النفس والحرية بأنه

---

(١) هكذا يدور البيت فى كتب البلاغة والنحو، وصوابه: "غليظاً مشافرة" وهو أول تسعة أبيات فى هجاء أيوب بن عيسى الضبى، لما حبسه. ذكرها صاحب الأغانى فى: نسب الفرزدق وأخباره" ٣٣٢/٢١، وصححها كذلك عبد القادر البغدادى فى "شرح أبيات المغنى" ١٩٨/٥، وهامش الأسرار ص٣٦.

(٢) الأسرار ص ٣٦.

أولا: لا قرابة بينه وبينه، لأنه لا قيمة لقرابة لم يرعها حقها، وكيف تكون بينهما قرابة، وهذا الزنجي كأنه جمل لا يعرف للفرزدق شرفه ولا يقدر له حسبه[١].

وكذا قول الحطيئة:

قروا جارك العيمان لما جفوته وقلص عن برد الشراب مشافره

حقه، إذا حققت أن يكون في القبيل المعنوى، وذلك أنه وإن كان عنى نفسه بالجار، فقد يجوز أن يقصد إلى وصف نفسه بنوع من سوء الحال، ويعطيها صفة من صفات النقص، ليزيد بذلك في التهكم بالزبرقان، ويؤكد ما قصده من رميه بإضاعة الضيف واطراحه وإسلامه للضر والبؤس، وليس ببعيد من هذه الطريقة من ابتدأ شعراً في ذم نفسه[٢]، ولم يرض في وصف وجهه بالتقبيح والتشويه إلا بالتصريح الصريح دون الإشارة والتنبيه[٣].

يشير الشيخ في كلامه السابق إلى أن الحطيئة كان يعنى نفسه -بالجار- ويبالغ في وصفه بسوء الحال والضياع ليتحقق له ما قصد إليه من التهكم بالزبرقان بن بدر، وأنه مضيع لجاره، مسلم له للضر والبؤس، وهذا لؤم طبع وصنعة صنع، فالصورة الاستعارية مقصودة من الشاعر، عنى بها أنه ترك كالبهائم السائمة وأنه في حاله هذا أشبه الجمال التي لا تجد ما يقيم أودها. فحققت غايته. لذا فإنها من قبيل الاستعارة المعنوية المفيدة[٤].

وأما قول مزرد[٥]:

وما رقد الولدان حتى رأيته على البكر يمريه بساق وحافر

---

[١] سمات البلاغة: ١٠.

[٢] يعنى قول الحطيئةفي ذم نفسه "ديوانه":

أبت شفتاى اليوم إلا تكلما بشر فلا أدرى لمن أنا قائله

أرى لى وجهاً شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

[٣] الأسرار: ص ٣٧.

[٤] ينظر: سمات البلاغة ص١٠.

[٥] سبق تحقيق البيت وشرحه، وأنه ليس لمزرد بن ضرار، وإنما هو لجبيهاء الأشجعي.

فقد قالوا: إنه أراد أن يقول: "بساق وقدم" فلما تطاوعه القافيه فوضع الحافر موضع القدم. وهو إن كان قد قال بعد هذا البيت ما يدل على قصده أن يحسن القول فى الضيف، ويباعده من أن يكون قصد الزراية عليه، أو يحول حول الهزء به والاحتقار له. وفى ذلك قوله:

فقلت أهلا وسهلا ومرحبا بهذا المحيا من محى وزائر

فليس بالبعيد أن يكون فيه شوب مما مضى، وأن يكون الذى أفضى به إلى ذكر الحافر، قصده أن يصفه بسوء الحال فى مسيره، وتقاذف نواحى الأرض به، وأن يبالغ فى ذكره بشدة الحرص على تحريك بكره واستفراغ مجهوده مع سيره، ويؤنس بذلك أن تنظر إلى قوله قبل:

وأشعث مسترخى العلابى طوحت به الأرض من باد عريض وحافر[١]

فأبصر نارى وهى شقراء أوقدت بعلياء تشز للعيون النواظر

وبعده "فما قد الوالدان"، فإذا جعله "أشعث مسترخى العلابى" فقد قربت المسافة بينه وبين أن يجعل قدمه حافراً، ليعطيه من الصلابة وشدة الوقع على جنب البكر حظاً وافراً[٢].

فالإمام عبد القاهر لا يستبعد أن يكون البيت من قبيل الاستعارة المعنوية، بمعنى أن يكون الذى دفعه إلى ذكر الحافر قصده أن يصف ضيفه بسوء الحال فى مسيره، وتقاذف نواحى الأرض به، وأن يبالغ فى ذكره بشدة الحرص على تحريك بكره واستخراج كل طاقته وجهده[٣].

---

(١) هو أول أبيات القصيدة، وبعده ثلاث أبيات، ثم البيت الذى ذكره، و"العلابى" جمع علباء" وهو عصب العنق الغليظ، واسترخاء العلابى من طول السفر وجهده.

(٢) الأسرار وهامشه ص ٣٧، ٣٨.

(٣) ينظر: التعبير البيانى، رؤية بلاغية نقدية. د/ شفيع السيد ص ١٣٥، نشر مكتبة الشباب، عام ١٩٧٨م.

ولم يقبل الإمام ما قيل فيه: من أن الشاعر أراد أن يقول: بساق وقدم فلم تطاوعه القافية، فعدل إلى الحافر، وإنما مد بصره قبل البيت وبعده، فقبله يقول الشاعر:

وأشعث مسترخى العلابى طوحت .... إلى آخر البيتين

فإذا جعله مسترخى "العلابى" فقد قربت المسافة بينه وبين أن يجعل قدمه حافراً؛ لبعطيه من الصلابة، وشدة الوقع على جنب البكر حظاً وافراً.

من هنا فإن القافية لم تضطر للشاعر، وإنما قصد إلى هذا المعنى قصداً، ولم يكن القصد احتقاره، أو الذراية به بدليل البيت الذى بعده، وهو:

فقلت أهلا وسهلا ومرحبا بهذا المحيا من محى وزائر

وهكذا قول الآخر[١]:

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها إلى ملك أظلافه لم تشقق

هو فى حد التشبيه والاستعارة؛ لأن المعنى يدل على أن الأظلاف لمن يربأ بالملك عن مشابهته. كأنه قال: " أجعل أمرها إلى ملك، لا إلى عبد جاف متشقق الأظلاف"، ويدل على ذلك أنا أبا بكر بن دريد قال فى أول الباب الذى وضعه للإستعارة: " يقولون للرجل إذا عابوه: جاءنا حافيا متشقق الأظلاف" ثم أنشد البيت[٢].

فإذا كان من شرط هذه الاستعارة أن يؤتى بها فى موضع العيب والنقص، فلا شك فى أنها معنوية[٣].

يعنى أن هذا البيت من الاستعارة المعنوية السفيدة التى قوامها التشبيه والمبالغة فيه.

---

[١] هو لعقفان بن قيس بن عاصم بن عبيد اليربوعى، ويعنى بالملك النعمان المنذر

[٢] هو فى الباب الذى عقده أبو بكر بن دريد فى آخر كتاب الجمهرة ٤٨٩/٢، ٤٩٠ وفيه أكثر الأبيات التى مرت بهذا الباب.

[٣] الأسرار وهامشه ص ٣٨، ٣٩.

فالشاعر يعرض بغير الملك، وأنهم ليسوا أهلاً للملك من طرف خفى، ومثل هذا بعيد كل البعد عن مقامات الملوك.

وذات هدم عار نواشرها ∴ تصمت بالماء تولباً جدعاً[١]

فأجرى "التولب" على ولد المرأة، وهو لولد الحمار فى الأصل؛ وذلك لأنه يصف حال ضر وبؤس، ويذكر امرأة بائسة فقيرة، والعادة فى مثل ذلك الصفة بأوصاف البهائم ليكون أبلغ فى سوء الحال، وشدة الاختلال[٢].

يعنى أن أوساً يصف حال ضر وبؤس وفقر شديد ويذكر امرأة بائسة، والعادة فى مثل ذلك أن توصف بأوصاف البهائم، ليكون أبلغ فى تصوير سوء الحال وشدة الاختلال، فى استعارة مفيدة لولاها ما تحقق هذا المعنى.

ومثله سواء قول الآخر:

وذكرت أهلى بالعرا ∴ ء وحاجة الشعث التوالب[٣]

كأنه قال: " الشعث التى لو رأيتها حسبتها توالب"؛ لما بها من الغبرة وبذاذة الهيئة.

---

(١) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه فى مرثية فضالة بن كلدة الأسدى، وهو معطوف على الذى قبله

ليبكيك الشرب والمدامة والفتيان طرا وطامع طمعاً

(٢) الأسرار مع هامشه ص ٣٨، ٣٩.

(٣) للأعلم الهذلى فى أشعار الهذليين، والعراء: الصحراء لا نبت فيها، و"الشعث" ولده ملقون بالعراء ليس دون حجابهم

الفصل الثانى

المجاز غير المفيد عند شراح التلخيص

تناول السكاكى المجاز غير المفيد عند حديثه عن المجاز المرسل، حيث قسم المجاز اللغوى إلى قسمين:

الأول: المجاز المفيد:

عرفه بأنه: تعدية الكلمة عن مفهومها الأصلى بمعونة القرينة إلى غيره لملاحظة بينهما ونوع تعلق[١].

وهذه الملاحظة أو التعلق بين المعنى الحقيقى والمجازى هو ما أطلق عليه علاقات المجاز المرسل: كالسببية والمسببية، والجزئية والكلية، والحالية والمحلية، إلى آخر هذه العلاقات التى تندرج ضمن المجاز المرسل المفيد، وذلك مثل التعبير عن النعمة باليد، لتعلق النعمة بها من حيث إنها تصدر عن اليد، ومنها تصل إلى المقصود بها، وكذا إن أردت القوة أو القدرة، لأن القدرة أكثر ما يظهر سلطانها اليد، وبها يكون البطش والضرب والأخذ والدفع، والوضع والرفع، وغير ذلك من الأفاعيل التى تخبر فضل إخبار عن وجود القدرة، وتنبئ عن مكانها أتم إنباء.

ولذلك تجدهم لا يريدون باليد شيئا لا ملابسة بينه وبين هذه الجارحة[٢].

وقيد السكاكى هذا اللون من المجاز بما كان خالياً عن المبالغة فى التشبيه فهو عنده، ماعدا الخالى عن الفائدة والاستعارة.

ومن خلال تعريف السكاكى يتضح أن هذا القسم يشمل جميع علاقات المجاز المرسل ما عدا علاقة التقييد كما سيأتى بعد.

الثانى: المجاز غير المفيد:

وقد عرفه بأن تكون الكلمة موضوعة لحقيقة من الحقائق مع قيد فتستعملها

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكى ٣٦٥، ت أ/ نعيم زرزور، ط دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان- ط ثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢) المرجع نفسه- الصفحة نفسها.

لتلك الحقيقة، لا مع ذلك القيد بمعونة القرينة[١]، ويمكن ان يقال: انه ما استعمل فى أعم ما هو موضوع له، او أن يقال: هو لفظ المقيد المراد به المطلق. وذلك مع تمثيله حيث يقول: أن تستعمل المرسن، وأنه موضوع لمعنى الأنف، مع قيد أن يكون كقول العجاج:

أزمان أبدت واضحاً مفلجا أغر براقا وطرفاً أبرجا

ومقلة وحاجباً مزججـــا وفاحماً ومرسناً مسرجا[٢]

يعنى أنفا يبرق كالسراج أو مثل المشفر، فى ضمن قرينة دالة على أن المراد هو الشفة لا غيره... إلخ.

المرسن فى الأصل للحيوان، لأنه الموضع الذى يقع عليه الرسن، فاستعمله الشاعر فى الأنف بقطع النظر عن كونه المرسون، مع أنه موضوع له بهذا القيد لا مطلقاً.

وكذلك المشفر فى قولنا: فلان غليظ المشافر، إذا قامت قرينة على أن المراد هو الشفة لا غير، وهو العضو المعلوم، بقطع النظر عن كونه لحيوان معين.

أو مثل ان تستعمل الحافر، وأنه موضوع للرجل مع قيد أن تكون رجل فرس أو حمار، استعمال الرجل بالإطلاق، اعتماد على القرائن[٣].

وجه التسمية عنده:

بين السكاكى وجه تسميته لهذا النوع. قائلا: وسمى هذا الضرب غير مفيد: لقيامه مقام أحد المترادفين من نحو: ليث وأسد، وحبس ومنع، عند المصير إلى المراد منه[٤].

---

(١) المرجع نفسه صـ ٣٦٤.

[٢] نسبهما صاحب معاهد التنصيص ١٤/١ لرؤية العجاج من أرجوزة طويلة ونسبهما الشيخ عبد القاهر فى الأسرار للعجاج ص ٣١ ت أ/ محمود شاكر، وقال هذا الرجز فى ديوانه يعنى العجاج.

[٣] ينظر: المفتاح: ٣٦٤، الإيضاح ضمن شروح التلخيص ٤٢/٤.

[٤] المرجعان السابقان.

فيكون استعماله كإستعمال الحقيقة فى خلوها عن مزية البلاغة[١]. ومن هنا يمكن أن يقال: إن جميع علاقات المجاز المرسل- ما عدا علاقة التقييد- من قسم المجاز المرسل، المفيد. فالآلية فى مثل قول المتنبى:

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندا

من المجاز المرسل المفيد، فاستعمل السيف فى العقاب لما بينهما من العلاقة والارتباط، إذ السيف آلة العقاب، والقرينة هى المعينة على ذلك[٢].

الفرق بين رأى السكاكى والإمام عبد القاهر:

أن السكاكى يجعل المقيد مستعملاً فى المطلق، فالمراد من المشفر فى قولك: غليظ المشفر، هو الشفة لا غير، أى العضو الشامل لشفة الإنسان، وجحفلة الفرس ومشفر البعير، والشيخ يرى أن المشفر مع كونه للبعير مستعمل فى الشفة بقيد كونها للإنسان ويزداد الأمر وضوحاً حينما نقول " مشفر زيد مجروح".

المشفر لغة: شفة البعير، ثم أريد هنا مطلق شفة، فكان المجاز المرسل هنا منقولا عن المقيد إلى المطلق، وكان مجازاً مرسلاً علاقته التقييد ثم نقل من مطلق شفة إلى شفة الإنسان فكان مجازاً مرسلاً بمرتبتين، وكانت علاقته التقييد والإطلاق، وذلك ما لم يقصد التشبيه وإلا كان "المشفر" استعارة وهذا هو رأى الإمام عبد القاهرفى هذا النوع من المجاز المرسل، أما السكاكى فيرى أن المشفر اسم للمقيد "وهو شفة البعير" فأطلق أى جرده من قيده، وهو إضافته للبعير، واستعمل فى شفة الإنسان من حيث إنها عن أفراد مطلق شفة، فهو عنده مجاز مرسل بمرتبة واحدة وهى التقييد بناء على أن العلاقة وصف المنقول عنه.

فكلاهما يرى الإشتراك فى المعنى هو الذى جعله غير مفيد[٣].

---

(١) بغية الإيضاح ١٠٢/٣.

(٢) نظرات فى البيان أ.د/ عبد الرحمن الكردى/ ٢٦١.

(٣) ينظر: الايضاح ت أ.د/ خفاجى ٣٦/٥- ط ثانية- نشر مكتبة الكليات الأزهرية بلا تاريخ والمطول للتفتازانى ص ٣٥٧ – ط احمد كامل ١٣٣٠هـ، نظرات فى البيان أ.د/ الكردى ص٢٦١، ٦٢، بغية الإيضاح ١٠٣/٣.

وقد نبه الإمام عبد القاهر إلى أن العلاقة هنا أقوى من علاقات صور المجاز المرسل وأنها أقرب إلى الاستعارة منها، مع ضنه بإطلاق الاستعارة عليه، وقال أنه رأى العلماء يفعلون فكرة التشدد فى الخلاف، يقول مبررا اعتباره استعارة أو نوعا منها، وسالكا فى الاستدلال لذلك مسلكا لطيفا جداً.

(واعلم أن الواجب كان أن لا أعد وضع "الشفة" موضع "الجحفلة"، و"الجحفلة" فى مكان "المشفر" ونظائره التى قدمت ذكرها فى الاستعارة، وأضن باسمها أن يقع عليه، ولكنى رأيتهم قد خلطوه بالإستعارات وعدوه معدها، فكرهت التشدد فى الخلاف، واعتددت به فى الجملة، ونبهت على ضعف أمره بأن سميته "الاستعارة غير مفيدة"، وكان وزان ذلك أن يقال: " المفعول على ضربين: مفعول صحيح، ومشبه بالمفعول" فيتجوز باعتداد المشبه بالمفعول فى الجملة، ثم يفصل بالوصف[١].

ووجه شبه هذا النحو الذى هو نقل "الشفة" إلى موضع الجحفلة" بالاستعارة الحقيقية، لأنك تنقل الاسم إلى مجانس له، ألا ترى أن المراد بالشفة والجحفلة عضو واحد، وإنما الفرق أن هذا من الفرس وذاك من الإنسان والمجانسة والمشابهة من واد واحد؟ فأنت تقول: أعير الشئ اسمه الموضوع له هنالك أى فى الإنسان هينا = أى فى الفرس= لأن أحدهما مثل صاحبه وشريكه فى جنسه، كما أعرت الرجل اسم الأسد، لأنه شاركه فى صفته الخاصة به، وهى الشجاعة البليغة، وليس لليد مع النعمة هذا الشبه، إذ لا مجانسة بين الجارحة وبين النعمة، وكذا لا شبه ولا جنسيةبين البعير ومتاع البيت، وبين المزادة وبين البعير، ولا بين العين وبين جمنة الشخص، فاطلاق اسم الاستعارة عليه بعيد"[٢].

وقد تبين مما مضى أن السكاكى جعل هذا القسم مجازاً مرسلاً خاليا من الفائدة، وجرى بعض الدارسين بعده على طريقته، والذى أغرى بذلك هو موقف الإمام عبد القاهر الذى لم يتحدد تحديداً قاطعاً فيها، فقد ذكرها استعارة غير مفيدة،

---

[١] أسرار البلاغة ٤٠٤، ٤٠٥.

[٢] أسرار البلاغة ص ٤٠٤، ٤٠٥، ت أ/ محمود شاكر.

ثم رجع عن هذه التسمية، ثم ذكر ما يشبه تبرير ذكر الضرب فى الاستعارة، وأنه أولى بها من إطلاق اليد على النعمة فى النص الذى نقلناه، ثم يقرر أن الاستعارة يجب أن تقصر على ما علاقته المشابهة[١].

والحاصل أن السكاكى بهذا يتفق فى تقسيم المجاز المرسل إلى مفيد وإلى غير مفيد مع الإمام عبد القاهر الذى يرى أنه إن قصد التشبيه صار اللفظ استعارة مفيدة: تعتمد على التشبيه وتبنى عليهن فمن ذلك قولهم: " إنه لغليظ المشافر وغليظ الجحافل" ذلك أنه كلام يصدر عنهم فى مواضع الذمن فصار بمنزلة أن يقال: كأن شفتين فى الغلظ مشفر البعير، وجحفلة الفرس، وعلى ذلك قول الفرزدق:

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتى ∴ ولكن زنجياً غليظ المشافر

فهذا يتضمن معنى قولك: ولكن زنجياً كأنه جمل لا يعرفنى ولا يهتدى لشرفى[٢].

---

[١] ينظر: التصوير البيانى: أ.د/ محمد أبو موسى ص ٣٤٥، ٣٤٦- نشر مكتبة وهبه – ط ثانية ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

[٢] أسرار البلاغة ص ٣٦، وصواب الرواية "غليظاً مشافره" تعليق أ/ محمود شاكر، وكذا قال الشيخ عبد المتعال الصعيدى فى بغية الايضاح ١٠٣/٣ هامش ٥.

خاتمة البحث ونتائجه

النتائج التى توصلت إليها هذه الدراسة يمكن إيجازها فيما يلى:

١- أن الاستعارة غير المفيدة عند الإمام عبد القاهر هى استعمال الشاعر أو غيره اسما من الأسماء الموضوع لنوع ما على خلاف ما اختص به هذا النوع فى العرف اللغوى من دون قصد إلى التشبيه أو المبالغة فى هذا الاستعمال.

٢- عد ابن قتيبة هذه الاستعارة من قبيل النقل المستحسن وذلك أن العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاوراً لها أو مشاكلاً.

٣- عاب النقاد القدامى من أمثال قدامة بن جعفر والآمدى وأبى هلال العسكرى هذه الاستعارات وعدوها من فاحش الاستعارات وأقبحها، والعلة فى ذلك هى أن الاسم المنقول لا يأتى بجديد نفتقده فى الاسم الأصلى. ولكن أبا هلال أشار إلى أمر جديد فى قول الحطيئة:

سقوا جارك العيمان لما جفوته وقلص عن برد الشراب مشافره

وقول الاخر:

وما رقد الولدان حتى رأيته على البكر يمريه بساق وحافر

وقول الآخر:

قد أفنى أنامله عضه فأمسى يعض على الوظيفا

وهو إنه أذا أريد بذلك الذم والهجاء كان أقرب إلى الصواب.

٤- ذهب أبو على القالى فى أماليه إلى اعتبار هذه الاستعارات من باب الاتساع فى أوضاع اللغة.

٥- أثبت البحث أن هذه الاستعارة (غير المفيدة) قد تتحول إلى استعارة مفيدة عند الإمام، إذا أريد بها غرض بلاغى، كالذم، والسخرية، والتهكم، ونحو ذلك كما إذا استعرت "المشفر" وهو شفة البعير لشفة الإنسان، تريد ذمه بغلظ الشفة ونحو ذلك، كما فى قول الحطيئة: فى هجاء الزبرقان بن بدر:

قروا جارك العيمان لما جفوته وقلص عن برد الشراب مشافره

وقول الفرزدق:

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتى ولكن زنجياً غليظ المشافر

وقول عفقان بن قيس بن عاصم:

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها إلى ملك أظلافه لم تشقق

وقول أوس بن حجر فى رثاء فضالة الأسدى:

وذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولبا جدعا

كما تناولنا ذلك فى تحليل هذه الأبيات تحت عنوان "رد بعض الشواهد إلى الاستعارة المفيدة" وبهذا تتحول الاستعارة اللفظية من استعارة عديمة الفائدة إلى استعارة مفيدة، نظرا لما تحمله من أغراض بلاغية، يرمى إليها القائل.

٦- بين البحث أن السكاكى قد أدخل هذه الاستعارة فى باب المجاز المرسل وذلك من خلال تقسيمه للمجاز اللغوى إلى مفيد وغير مفيد، وقد عرف غير المفيد بأن تكون الكلمة موضوعة لحقيقة من الحقائق مع قيد فتستعملها لتلك الحقيقة لا مع ذلك القيد بمعونة القرينة. وسمى هذه العلاقة "علاقة التقييد".

٧- أشار البحث إلى الفرق بين رأى الإمام عبد القاهر ورأى العلامة السكاكى وذلك حينما نقول "مشفر زيد مجروح" فالمشفر لغة: شفة البعير، ثم أريد هنا مطلق شفة، فكان المجاز المرسل هنا منقولا عن المقيد إلى المطلق، وكان مجازاً مرسلاً علاقته التقييد ثم نقل من مطلق شفة إلى شفة الإنسان فكان مجازا مرسلاً بمرتبتين، وكانت علاقته التقييد والإطلاق. وذلك ما لم يقصد التشبيه، فإذا قصد التشبيه كان "المشفر" استعارة، وهذا هو رأى الإمام عبد القاهر -رحمه الله تعالى- فى هذا النوع من المجاز المرسل. أما السكاكى فيرى أن المشفر اسم للمقيد "وهو شفة البعير" فأطلق -أى جرد من قيده- وهو إضافته للبعير، واستعمل فى "شفة الإنسان" من حيث إنها من أفراد مطلق "شفة" فهو عنده مجاز مرسل بمرتبة واحدة وهى "التقييد" بناء على أن العلاقة وصف المنقول عنه. فكلاهما يرى أن الاشتراك فى المعنى هو الذى جعله غير مفيد.

٨- أبان البحث أن السكاكى جعل هذا القسم من المجاز المرسل الخالى من الفائدة وأن بعض الدارسين بعده ساروا على طريقته، والذى أغراهم بذلك هو موقف الإمام عبد القاهر الذى لم يتحدد تحديداً قاطعاً فيها، فقد ذكرها استعارة غير مفيدة، ثم رجع عن هذه التسمية، ثم ذكر ما يشبه ذكر هذا الضرب فى الاستعارة، وأنه أولى بها من إطلاق اليد على النعمة، ثم يقرر أن الاستعارة يجب أن تقصر على ما علاقته المشابهة.

٩- انتهى البحث إلى أن السكاكى يتفق فى تقسيم المجاز المرسل إلى مفيد وغير مفيد مع الإمام عبد القاهر، الذى يرى أنه إن قصد التشبيه صار اللفظ استعارة مفيدة، تعتمد التشبيه وتبنى عليه.

مراجع البحث ومصادره

١- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى ت. أ/ محمود شاكر- نشر دار المدنى بجدة ط أولى ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٢- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى.

٣- الأمالى فى لغة العرب لأبى على القالى ط أولى- المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢٤هـ.

٤- الإيضاح للخطيب القزوينى ت أ.د/ محمد عبد المنعم خفاجى ط ثانية - نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

٥- بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدى- طبع ونشر مكتبة الآداب ومطبعتها - المطبعة النموذجية بلا تاريخ.

٦- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبه الدينورى- ت أ/ السيد أحمد صقر - ط المكتبة العلمية - بلا تاريخ.

٧- التصوير البيانى أ.د/ محمد أبو موسى - نشر مكتبة وهبة - ط ثانية، سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٨- التعبير البيانى - رؤية بلاغية نقدية - د/ شفيع السيد- نشر مكتبة الشباب ١٩٧٨م.

٩- الجمهرة. لابن دريد - طبع حيدر آباد ١٣١٥هـ.

١٠- حماسة ابن الشجرى. طبع حيدر آباد ١٣٤٥هـ.

١١- دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر - ت أ/ محمود شاكر - نشر مطبعة المدنى بالقاهرة - ط ثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م طبع مكتبة الخانجى.

١٢- ديوان الهزليين.

١٣- ديوان الحطيئة - ط التقدم ١٣٢٥هـ.

١٤- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ت/ الشيخ عبد المتعال الصعيدى - طبع محمد على صبيح سنة ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م

١٥- سمات البلاغة عند الشيخ عبد القاهر- أ.د/محمد جلال الذهبى- ط مطبعة الأمانة – القاهرة.

١٦- شرح أبيات المغنى للإمام عبد القادر البغدادى.

١٧- شروح التلخيص – طبع دار السرور- بيروت – لبنان.

١٨- عيار الشعر – لابن طباطبا العلوى.

١٩- كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى تأ.د/ مفيد قمحه – ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط ثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م

٢٠- المطول للعلامة سعد الدين التفتازانى. ط أحمد كامل سنة ١٣٣٠هـ.

٢١- معاهد التنصيص – للعباس.

٢٢- مفتاح العلوم – للسكاكى ت أ/ نعيم زرزور- ط دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٢٣- نمو [illegible] " المقترى للآمدى. [illegible] أ/ [illegible] عسقر – [illegible] ابو

٢٤- الموشح [illegible]

[illegible] من [illegible] السعادة- [illegible]

[illegible] أ.د/ محمد [illegible] ط [illegible]

[illegible]

٢٧- [illegible] الرمانى ضمن ثلاث رسائل، ت [illegible] والدكتور/ محمد زغلول سلام- ط دار المعارف بمصر – ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م – ط ثانية.

٢٨- الوساطة بين المتنبى وخصومه للعلامة على بن عبد العزيز الجرجانى- ت أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، أ/ على محمد البجاوى- بلا تاريخ.

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
- مقدمة	١٥٣
- تمهيد فى تعريف الاستعارة.	١٥٤
- مفهوم الاستعارة غير المفيدة	١٥٨
الفصل الأول	
الاستعارة غير المفيدة قبل الإمام عبد القاهر الجرجانى	
- عند ابن قتيبة.	١٦٠
- عند قدامة بن جعفر.	١٦٣
- عند الآمـــدى.	١٦٦
- عند أبى هلال العسكرى.	١٦٧
الفصل الثانى	
المجاز غير المفيد عند شراح التلخيص	
- المجاز المفيد.	١٧٩
- المجاز غير المفيد.	١٨٠
- وجه التسمية عند السكاكى.	١٨١
- الفرق بين رأى السكاكى والإمام عبد القاهر.	١٨٢
- خاتمة البحث ونتائجه	١٨٦
- مراجع البحث ومصادره.	١٩٠
- الفهرست	١٩٣